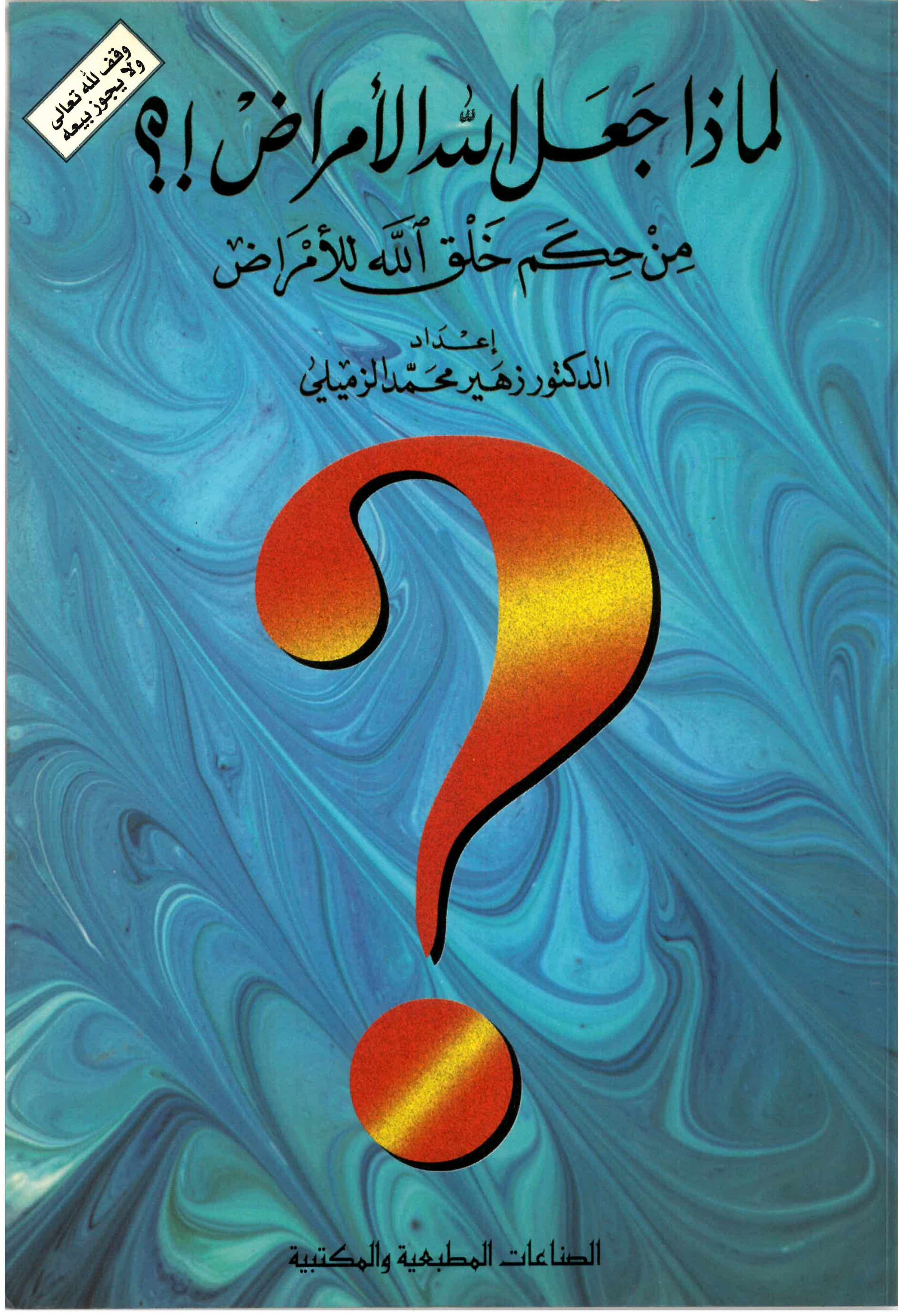

وقف لله تعالى
ولا يجوز بيعه
لماذا جعل الله الأمراض !؟
مِنْ حِكَم خَلْق ٱللَّهِ للأَمْرَاض
إعداد
الدكتور زهير محمّد الزميلي
الصناعات المطبعية والمكتبية



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ
إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ
وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي
وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ
وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾

لماذا جعل الله الأمراض !؟

موافقة وزارة الاعلام والثقافة

رقم : أع ش /٣٤٥٨

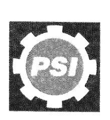
دولة الإمارات العربية المتحدة ـ الشارقة

بتاريخ : ٥/١٢/٢٠٠٠م

الطبعة الثانية

١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م

لمن أراد طبع هذا الكتاب من أهل الخير أو الجمعيات الخيرية تقوم إدارة الصناعات المطبعية والمكتبية بطباعتـه بسـعر التكلفة وجـزى الله الجميـع خيـراً



الصناعات المطبعية والمكتبية

الشارقة ـ الامارات العربية المتحدة ـ ص . ب : ٦٣٢٥ هاتف : ٥٣٢٢٧٤٤ فاكس : ٥٣٢٣٨٨٩

لماذا جعل الله الأمراض !؟

مِنْ حِكَم خَلْق الله للأمْراض

إعداد
الدكتور زهير محمد الزميلي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

لماذا جعل الله الأمراض؟

لقد خلق الله عز وجل الناس لعبادته، قال تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ (الذاريات أية ٥٦) واستخلفهم في الأرض ليعمروها ﴿وإذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة﴾(البقرة آية ٣٠) وكتب عليهم الابتلاء في هذه الحياة: ﴿**إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه**﴾ (الإنسان آية٢) وكان من هذا الابتلاء أن تلم بالإنسان النوائب وأن تصيبه الضراء والسراء.

والامراض خلق من خلق الله يسلطها على من يشاء، وقتما شاء كيفما شاء، لما شاء، وقد خلقها الله عز وجل لغاية يعلمها هو وطلب من الإنسان الصبر عليها، وطلب الدواء، يقول صاحب الاحياء: والحاصل أن الخير والشر مقضى به وقد كان ما قضى به واجب الحصول بعد سبق المشيئة، فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه وأمره، بل كل صغير وكبير مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر وما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك» [1].

ويقول في موضع آخر في معنى ألا كل شيء ما خلا الله باطل، أي كل ما لاقوام له بنفسه وإنما قوامه بغيره، فهو باعتبار نفسه باطل، وإنما حِقِّيَّتُهُ وحقيقته

(١) ص ٢٥٣، إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ج ٤ دار إحياء الكتب العربية/ عيسى البابي الحلبي.

بغيره لا بنفسه، فإذن لاحق بالحقيقة إلا الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء، فإنه قائم بذاته، وكل ما سواه قائم بقدرته، فهو الحق وما سواه باطل.[1]

وفي هذه الصفحات أحاول توضيح بعض الحكم التي أرادها الله عز وجل من وراء الإبتلاء بالمرض. (والمرض معرفاً بأل ومنكراً ورد ذكره في القرآن الكريم أربعة عشر مرة. والمريض خمس مرات والمرضى خمس مرات كذلك[2].

ولقد دفعني لكتابة هذا الموضوع ما نسمعه على ألسنة بعض المرضى وأهليهم من الإعتراض على حكم الله بقولهم لماذا خلق الله الأمراض؟

ولماذا تفعل كذا يا رب؟ وما شابه ذلك من الأسئلة التي تفيد الإعتراض على حكم الله. يقول الإمام الجوزي في صيد الخاطر:

رأيت كثيراً من المغفلين يظهر عليهم السخط بالاقدار. وفيهم من قل إيمانه فأخذ يعترض. وفيهم من خرج إلى الكفر، ورأى أن ما يجري كالعبث، وقال ما فائدة الإعدام بعد الإيجاد، والإبتلاء ممن هو غني عن أذانا؟ فقلت لبعض من كان يرمز إلى هذا: إن حضر عقلك وقلبك حدثتك. وإن كنت تتكلم بمجرد واقعك من غير نظر وانصاف فالحديث معك ضائع، ويحك، أحضر عقلك، واسمع ما أقول: أليس قد ثبت أن الحق سبحانه المالك، وللمالك أن يتصرف كيف يشاء؟ أليس قد ثبت أنه حكيم والحكيم لا يعبث؟.

وأنا أعلم أن في نفسك من هذه الكلمة شيئاً، فإنه قد سمعنا عن جالينوس أنه قال: ما أدري؟ أحكيم هو أم لا. والسبب في قوله هذا؛ أنه رأى نقضاً بعد إحكام، فقاس الحال على أحوال الخلق، وهو أن من بنى ثم نقض لا لِمَعْنَى فليس بحكيم. وجوابه لو كان حاضراً أن يقال: بماذا بان لك أن النقض ليس بحكمة؟ أليس بعقلك الذي وهبه الصانع لك؟ وكيف يهب لك الذهن الكامل ويفوته الكمال؟ وهذه هي المحنة التي جرت لإبليس. فإنه أخذ يعيب الحكمة بعقله، فلو تفكر علم أن واهب العقل أعلى من العقل، وأن حكمته

(١) الاحياء ص٢٥٢.
(٢) الاعجاز الطبي في القرآن الكريم ص ٢٠: تأليف د السيد الجميلي طباعة دار التراث العربي

أوفى من كل حكيم، لأنه بحكمته التامة أنشأ العقول. **فهذا إذا تأمله المنصف** زال عنه الشك. وقد أشار سبحانه إلى نحو هذا في قوله تعالى« أم له البنات ولكم البنون» أي أجعل لنفسه الناقصات واعطاكم الكاملين؟ فلم يبق إلا أن نضيف العجز عن فهم ما يجري إلى نفسنا. ونقول هذا فعل عالم حكيم ولكن ما يبين لنا معناه. **وليس هذا بعجب فإن موسى عليه السلام خفي عليه وجه الحكمة في نقض السفينة الصحيحة، وقتل الغلام الجميل، فلما بين له الخضر وجه الحكمة أذعن،فلنكن مع الخالق كموسى مع الخضر.**

أولسنا نرى المائدة المستحسنة بما عليها من فنون الطعام (النظيف) الظريف يقطع ويمضغ ويصير إلى ما نعلم. ولسنا نملك ترك تلك الأفعال ولا ننكر الافساد له، لعلمنا بالمصلحة الباطنة فيه. فما المانع أن يكون فعل الحق سبحانه له باطن لا نعلمه؟ ومن أجهل الجهال العبد المملوك إذا طلب أن يطلع على سر مولاه، فإن فرضه التسليم لا الإعتراض.

ولو لم يكن في الابتلاء بما تنكره الطباع إلا أن يقصد إذعان العقل وتسليمه لكفى.

فنسأل الله عز وجل عقلاً مسلماً يقف على حده، ولا يعترض على خالقه وموجده ثم الويل للمعترض، أيرد اعتراضه الاقدار؟ فما يستفيد إلا الخزي، نعوذ بالله ممن خذل[1].

ويقول رحمه الله:

«لا ينبغي للمؤمن أن ينزعج من مرض أو نزول موت، وإن كان الطبع لا يملك»[2]

ويقول السيد محمد صديق حسن في كتابه الدين الخالص:

---

(١) صيد الخاطر فصل ١٩٨ للشيخ ابن الجوزي تحقيق عبد القادر أحمد عطا الناشر مكتبة الكليات الازهرية.

(٢) صيد الخاطر فصل ١٩٩.

«أليس الإيمان بالقدر، خيره وشره، وحلوه ومره، ينوب عن التقـول بهذه الأقوال السخيفة المحرمة؟

ومنهم من يسب الـدهر في تكلمـه، نثراً، ويشتم في هـذا الشكل الـرب تعالى وهو لا يدري ماذا قال، وفي أي هوة وقـع من الكفر والضلال؟ وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم» . [1].

والرد على هذه الأسئلة«التي نخاف على اخواننا المسلمين من عـواقبها حتى لا يكونوا من الخاسرين لاسمح الله»واجب شرعي.

وهناك فئة أخرى تطرح مثل هذه الأسئلة للتشكيـك وهؤلاء من أصحاب المبادىء الفاسدة، الذين يريدون التشكيك في عدل الله وحكمته ورحمته.

إن هؤلاء وأولئك بحاجـة للرد على مثـل هذا السؤال، وعـلى الله التوفيق بحسن الإجابة. وأرجو الله عز وجل أن يجعل هذا في ميزان حسنـاتي وأن يجعل عاقبته في الآخرة. . . أللهم آمين.

(١) الدين الخالص ٥٤٦/ ج ٤ طباعة المدني السيد محمد صديق حسن خان.

الباب الاول

المرض لغة واصطلاحاً

والمرض: الخروج عن الإعتدال الخاص بالإنسان وذلك ضربان:

الأول: جسمي وهو مذكور في قوله تعالى: ﴿**ولا على المريض حرج**﴾ الفتح ١٧.

والثاني: عبارة عن الرذائل كالجهل والجبن والبخل والنفاق كما قال تعالى: ﴿**في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً**﴾ البقرة آية ١٠[١].

يقول الإمام ابن القيم في زاد المعاد:

ومن المرض ما يمنع البدن من التصرف الكامل، وما يمنع من تحصيل الحياة الأخروية.

والمرض نوعان: مرض القلوب، ومرض الابدان، وهما مذكوران في القرآن.

ومرض القلوب نوعان: مرض شبهة وشك، ومرض شهوة وغي، وكلاهما في القرآن قال تعالى في مرض الشبهة: (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً) وقال تعالى (وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً) وقال تعالى في حق من دعي إلى تحكيم القرآن والسنة فأبى وأعرض: (وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون. وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين. أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم

(١) المفردات ص ٤٦٦.

(٢) زاد المعاد ص ٧٥/ ج ٣ ابن قيم الجوزية طباعة مصطفى البابي الحلبي.

ورسوله بل أولئك هم الظالمون) فهـذا مرض الشبهـات والشكوك، وأمـا مرض الشهوات فقال تعالى: ﴿**يا نساء النبي لستن كأحـد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض**﴾ فهذا مـرض شهوة الـزنا، والله أعلم.

وأمـا مرض الأبـدان فقال تعـالى: ﴿**ليس على الأعمى حـرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حـرج**﴾ وذكر مـرض البدن في الحـج والصوم والوضوء لسر بديع، يبين لك عظمة القرآن والاستغناء به لمن فهمه، وعقله عن سـواه، وذلـك أن قـواعـد طب الأبـدان ثـلاثـة: حفظ الصحـة، والحميـة عن المؤذي، واستفراغ المواد الفاسدة، فذكر سبحانه هـذه الأصول الثـلاثة في هـذه المواضيع الثـلاثة، فقـال في آية الصـوم: (فمن كان منكم مـريضاً أو عـلى سفر فعدة من أيام اخر) فأباح الفطر للمـريض لعذر المـرض، وللمسافـر طلباً لحفظ صحته وقوته، لئلا يذهبها الصوم في السفر لاجتماع شدة الحركة، وما يوجبه من التحليـل، وعدم الغـذاء الذي يخلف مـا تحلل، فتخور القـوة وتضعف، فأبـاح للمسافر الفطر حفظاً لصحته وقوته عما يضعفها.[1].

والمرض: اظلام الطبيعة واضطرابها بعد صفائهـا واعتدالهـا [2] وفي مختار الصحـاح: مرض (المـرض) السقم وبابـه طـرب و(أمـرضـه) الله. و (مـرضـه تمريضاً) قام عليه في مـرضه ـ و(التـمارض) أن يُرِيَ من نفسـه المرض وليس بـه مرض. وعين (مريضة) فيها فتور [3].

الباب الثاني

القيم الإسلامية وحقيقة السعادة في الإسلام:

أ ـ القيم الإسلامية

(١) زاد المعاد ص ٧٥/ج ٣.
(٢) القاموس المحيط ص ٣٤٤ ج ٢ طباعة الحلبي.
(٣) مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي /طبعة بيروت ـ المكتبة الأمـوية ـ دار الفكر.

١ ـ أهمية التمسك بها.

أ ـ لأنها حقيقة الإسلام وترجمة الإيمان.

ب ـ لأن التمسك بها دليل الإقرار بأنها الأثبت والأحسن والأعدل والأكرم وأنها طريق الرفعة والتقدم الانساني.

جـ ـ لأن التمسك بها دليل الاقتناع بأنها الصيغة الوحيدة التي يمكن أن تجتمع عليها البشرية بكل أجيالها.

د ـ لأن التزامها هو الكفيل بتوفير السعادة الحقيقية والسلام الحقيقي والامان الحقيقي.

٢ ـ عرض لبعض هذه القيم الإسلامية.

ب ـ حقيقة السعادة في الإسلام ومقياسها وعلاقة ذلك بالمرض.

السعادة في الإسلام وتعلقها بالقيم

أ ـ القيم الإسلامية:

١ ـ أهمية التمسك بها: هذا واجب أن أمهد للموضوع بما يجعل الإجابة عليه سهلة وميسرة بما يلي: فإن الآية الكريمة (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون)، المائدة آية ٥٠. كلما قرأناها، فإنها تقرع عقولنا وأرواحنا وأنفسنا قرعاً شديداً، بأن نجعل قيمنا وأحكامنا ومقاييسنا وموازيننا ربانية خالصة، وذلك **لأن التمسك بهذه المقاييس والأحكام والقيم ضرورة لابد منها وذلك للأسباب التالية:**

أ ـ لأنها حقيقة الإسلام وترجمة حقيقية للإيمان: فالإسلام في حقيقته هو الإستسلام لله جل وعلا وتسخير كل الطاقات في سبيل رفعة دينه.

يقول الإمام الجوزي عن الرضا بتدبير الله: ينبغي للمؤمن بالله سبحانه

ألا يعترض على الله سبحانه في شيء،لا في باطنه ولا في ظاهره، ولا يطلب تعليلات أفعاله كلها.

والصواب التعليل لما يمكن، والتسليم لما يخفى. وكذلك سؤال الحق سبحانه، فإذا دعاه المؤمن ولم ير اجابة سلم وفوض وتأول للمنع. فيقول: ربما يكون المنع أصلح، وربما يكون لأجل ذنوبي، وربما يكون التأخير أولى، وربما لم يكن هذا مصلحة.

وإذا لم يجد تأويلاً لم يختلج في باطنه نوع إعتراض، بل يرى أنَّه قد تعبَّد بالدُّعاء فإن أنعم عليه فبفضل، وإن لم يجب فمالك يفعل ما يشاء[1].

قال تعالى **﴿قل إنَّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربِّ العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أوّل المسلمين﴾ (الأنعام أية ١٦٣)**. فالاسلام هو استسلام الروح والعقل والجسد والنفس وتركها تتشكّل وفق منهج الله الكامل الشامل، **ففيما يتعلق بالجسد** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **﴿قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: المؤمن القوى خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلّ خير. احرص على ما ينفعك، وآستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل. فإن لو تفتح عمل الشيطان﴾**. أخرجه مسلم.

وعن أبي كريمة المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: **﴿ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه﴾** رواه الترمذي وقال حديث حسن، «أكلات» أي: لقم يقول الإمام ابن القيم في زاد المعاد عن التداوي للمحافظة على الجسد: «فكان من هديه صلّى الله عليه وسلّم فعل التداوي في نفسه، والأمر به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي الزبير عن جابر بن عبدالله، عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنَّه قال: لكلّ داءٍ دواء، فإذا أصيب

---
(١) صيد الخاطر فصل ٢٣٨

دواء الداء برأ بإذن الله عزَّ وجلَّ، وفي الصحيحين عن عطاء عن أبي هريـرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: **﴿ما أنزل الله من داء إلّا أنزل له شفاء﴾** وفي مسند الإمام أحمد من حديث زيـاد بن علاقـة عن أسامـة بن شريك قـال: «كنت عند النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وجاءت الأعراب فقالوا: يا رسـول الله أنتداوى؟ فقال: نعم، يا عباد الله تداووا، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يضع داء إلّا وضـع له شفـاء غير داء واحد، قالوا: ما هو،؟ قال: الهرم» وفي لفظه «انَّ الله لم ينزل داء إلّا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله» وفي المسند من حديث ابن مسعـود «إن الله عز وجل لم ينـزل داء إلا أنزل لـه شفاء علمـه من علمه وجهله من جهله» وفي المسند والسنن عن أبي خزامـة قال: «قلت يـا رسول الله: أرأيت رقى نسـترقيها، ودواء نتداوى به، وتقـاة نتّقيها، هـل ترد من قـدر الله شيئاً؟ فقـال: هي من قدر الله».

فقد تضمنت هذه الأحاديث إثبات الأسبـاب والمسببات، وإبـطال قول من أنكرها. ويجوز أن يكون قـوله «لكـلّ داء دواء» على عمـومه، حتى يتنـاول الأدواء القاتلة، والأدواء التي لا يمكن طبيباً أن يبرئها، ويكـون الله عزَّ وجـلَّ قد جعـل لها أدوية تبرئها، ولكن طوى علمها عن البشر ولم يجعل لهم إليها سبيلاً، لأنَّـه لا علم للخلق إلّا مـا علّمهم الله، ولهـذا علّق النبيّ صـلّى الله عليـه وسلَّم الشفـاء عـلى مصادفة الدواء للداء، فإنّه لا شيء من المخلوقات إلّا لـه ضدّ، وكـلّ داء له ضـدّ من الـدواء يعالـج بضدّه، فعلّق النبيّ صـلّى الله عليه وسلَّم الـبرء بموافقـة الـداء للدواء، وهذا قدر زائـد عل مجـرّد وجوده، فـإنَّ الدواء متى جـاوز درجة الـداء في الكيفية أو زاد في الكمية عـلى ما ينبغي، نقله إلى داء أخـر، ومتى قصر عنها لم يف بمقاومته، وكان العلاج قاصراً ومتى لم يقـع المداوى عـلى الدواء لم يحصـل الشفاء، ومتى لم يكن الزمان صالحاً لذلك الدواء لم ينفع، ومتى كان البدن غير قابـل له، أو القوة عاجزة عن حمله، أو ثمّ مانع يمنع من تأثيره لم يحصـل البرء لعـدم المصادفـة، ومتى تمّت المصادفة حصل البرء ولا بدَّ، وهذا أحسن المحملين في الحديث.

وفي هذه الأحاديث الصحيحة الأمر بالتداوي، وأنّه لا ينافي التوكُّل، بـل

لا يتمّ حقيقة التوحيد إلاّ بمباشرة الأسباب التي نصبها الله، فإن تركها عجزاً ينافي التوكُّل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضرّه في دينه ودنياه، ولا بدَّ مع هذا الإعتماد من مباشرة الأسباب وإلاّ كان معطلاً للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكُّلاً، ولا توكُّله عجزاً.[1].

وفيها يتعلّق بالعقل: قال تعالى **﴿انّا أنزلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون﴾** سورة يوسف آية ٢ . **﴿وله آختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون﴾** سورة المؤمنون آية ٨٠ . **وفيها يتعلَّق بالروح** قال تعالى **﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزَلَ من الحق﴾** الحديد آية ١٦ . **وفيها يتعلّق بالنفس** قال تعالى **﴿ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها﴾** الشمس آية ٧ / ٨.

أمّا الإيمان فكما عرّفه السلف رضوان الله عليهم فإنَّه «تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان».

هذا هو الإسلام الحقيقي والإيمان الحقيقي، إنَّه قناعة روحية وعقلية تترجم إلى عمل سواء كان ذلك العمل فكرة تخطر في الذهن أو مهمة تنفَّذ باليد أو كلمة تقال باللسان أو عملاً يتضمَّن كلّ ذلك.

يقول صاحب كتاب الدين الخالص عن ملازمة العمل للإيمان:

«والقرآن يبيِّن أنَّ إيمان القلب، يستلزم العمل الظاهر بحسبه، كقوله: **﴿ويقولون آمنّا بالله وبالرسول وأطعنا. ثمّ يتولى فريق منهم من بعد ذلك﴾** الآية ٤٦، ٤٧ النور.

فنفى الإيمان عمّن تولّى عن طاعة الرسول، وأخبر أنَّ المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم، سمعوا وأطاعوا، فبيَّن أنَّ هذا من لوازم الإيمان.[2]

---

(١) زاد المعاد ٧٧+ ٧٨+ ٧٩/ج ٣

(٢) الدين الخالص ٥٤٧/حـ ٤

إنَّ الإلتزام بهذه المقاييس والأحكام والقيم هو ترجمة الإيمان وحقيقة الإسلام **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾** الأحزاب آية ٣٦ **﴿إنّما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون﴾** النور آية ٥١.

يقول الأستاذ سيد قطب في الظلال: ومن ثمّ يكون الدين الذي يقبله الله من عباده هو الإسلام «إنَّ الدين عند الله الإسلام» فالإسلام هو الدين، وهو في هذه الحالة: الإستسلام المطلق للقوامة الإلهية، والتلقي من هذا المصدر وحده في كل شأن من شؤون الحياة والتحاكم إلى كتاب الله المنزّل من هذا المصدر، فهو ليس مجرّد دعوى وليس مجرّد راية، وليس مجرّد كلمة تقال باللسان. ولا حتى تصوراً يشتمل عليه القلب في سكون، ولا شعائر فردية يؤدّيها الأفراد في الصلاة والحجّ والصيام.. لا.. فهذا ليس بالإسلام الذي لا يرضى الله من الناس ديناً سواه إنّما الإسلام: الإستسلام.

الإسلام: الطاعة والاتباع. الإسلام تحكيم الله في أمور العباد.[1].

وإنَّ هذه المقاييس والموازين لا بدَّ من إلتزامها في كلِّ أمر **﴿قل إنَّني هداني ربّي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾** الأنعام ١٦١، سواء كان ذلك الأمر في الطب أو السياسة أو الإجتماع أو الإقتصاد أو القانون أو غيره من مجالات الحياة، وعلى أي حال كان الإنسان، في الحركة والسكون، في الرخاء أو البلاء، في الإقامة أو السفر، في المجال الفردي أو الجماعي.

والأحكام الإسلامية الربّانية وحدها، أو مع غيرها مما لا يتعارض مع الاصول الاسلامية الشرعية او الفروع المبنية على تلك الأصول والمستخرجة بطريق صحيح، إنَّ هذه المقاييس والأحكام والقيم يجب أن تكون هي المرجع والمصدر والملاذ للإحتكام في أيّ أمر مهما كان صغيراً أو كبيراً.

---

(١) طريق الدعوة في ظلال القرآن ص ١٧

يقول صاحب صيد الخاطر رحمه الله حول حقّ مناقشة الأصول لا الفروع: فالكلام إذن في إثبات النبوّة وصحة القرآن. فما وجه ذكر الفرع مع جحد الأصل؟ وإن قال: قد ثبت عندي،فواجب عليه أن يتمحل لأقامة العذر، لا أن يقف في وجه المعارضة»[1].

ولا يكون إيمان المسلم كاملاً ما لم يقرّ بوجوب إلتزام كلّ أمر إلهي وكلّ قيمة ربّانية **﴿إن الحكم إلاّ لله أمر ألا تعبدوا إلاّ إيّاه﴾** يوسف ٤٠. **﴿فلا وربّك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾** النساء ٦٥.

ب ـ **لأنَّ التمسّك بهذه القيم دليل الإقرار بأنّها هي الأثبت والأحسن والأعدل والأكرم، ودليل الإقرار بأنّها هي طريق التقدُّم والرفعة الإنسانية،** وان تركها يعني الضلال والجاهلية والرجعة إلى عصور الجهالة والظلام، عصور عبودية العباد للعباد سواء كانوا بشراً، في شكل حاكم أو هيئة مشرعة أو شعب يقرّ أو يمنع ما يشاء ممّا يخالف شرع الله، أو كان ذلك على شكل علاقات عصبية أو اجتماعية لم تبن على أساس من الدين الحنيف فالأُصل أن يكون ولاء المسلم كلّه لله.

إنَّ القيم الربّانية هي المثلى وهي الحسنى لأنَّها من الله جلَّ وعلا الذي له الأسماء الحسنى وأفعاله هي الحسنى **﴿الله لا إله إلاّ هو له الأسماء الحسنى﴾** طه ٨. **﴿هو الله الذي لاإله إلاّ هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبّار المتكبِّر سبحان الله عما يشركون. هو الله الخالق البارىء المصوِّر له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾** الحشر ٢٣و٢٤.

جـ ـ **لأنَّ التمسك بهذه القيم والمقاييس والأحكام هو دلالة الإقتناع والتصديق والإيمان بأنها هي الصيغة الوحيدة التي يمكن أن تجتمع عليها البشرية بكل أجيالها،** أفراداً ومجتمعات ودولاً لأنَّها صيغة لا تحابي أحداً ولا تعادي أحداً لجنسه أو لذاته الشخصية **﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم﴾**

(١) صيد الخاطر ٣٩٨.

الأنفال ٦٣ . ﴿ربَّنا أغفر لنا ولإخواننا الذي سبقونا بالإيمـان﴾ الحشر ١٠ . ﴿إنَّ أكرمكم عند الله أتقـاكم﴾ الحجرات ١٣ . ﴿صبغـة الله ومن أحسن من الله صبغةً ونحن له عابدون﴾ ١٣٨ البقرة .

إنَّها صيغة تخضع الإنسان لما يجب أن يخضع له و تمنعه ممّا يجب أن يمنع منه ، لأنَّها جـاءت من الله ﴿الـذي خلق فسـوى والـذي قـدر فهـدى﴾ الأعـلى ٢+٣ ، والذي يعلم ما يصلح الإنسـان والكون والمجتمـع فيهديـه إليه ، ﴿يـريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ البقرة ١٨٥ ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ التين ٤ .

ويعلم ما يفسد أمره فينهاه عنه . ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ الأنعام ١٥١ . ﴿ومن أعرض عن ذكري فإنَّ له معيشـة ضنكا﴾ طـه ١٢٤ ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرِّقـوا﴾ آل عمران ١٠٣ ﴿أأنتم أعلم أم الله﴾ البقرة ١٤٠ ﴿ولو أنَّ أهـل القرى آمنـوا واتّقوا لفتحنـا عليهم بركـات من السماء والأرض﴾ الأعراف ٩٦ . ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ إبراهيم ٧ .

د ـ لأنَّ إلتزام هذه القيم والمقاييس والأحكام والموازين هو الذي يوفِّر للإنسان السعادة الحقيقية والسلام الحقيقي والأمان الحقيقي . ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ الأنعام ٨٢ ﴿فليعبدوا ربَّ هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ قريش ٤ . إنَّ السلام والأمان والسعادة منح عظيمة منحها الخالق تبارك وتعالى لعباده .

وإنَّ أي إبتعاد عن هذا المنهج يعني شقاء هذه البشرية بمقدار بعدها عن هذا المنهج وهذه القيم ﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً حتى إذا رأوا ما يوعدون إمّا العذاب وإمّا الساعة فسيعلمون من هو شرّ مكاناً وأضعف جنداً﴾ مريم ٧٥ . ﴿وأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرَّق بكم عن سبيله﴾ الأنعام ١٥٣ .

٢ ـ عرض لبعض هذه المقاييس والموازين الإسلامية

١ ـ ميزان المفاضلة: ﴿إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ الحجرات ١٣

٢ ـ ميزان السبق: ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا﴾ الحديد آية١٠.

٣ ـ ميزان الربح والخسارة: ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنّة فقد فاز﴾ آل عمران آية ١٨٥.

٤ ـ ميزان ما يبقى وما يذهب: ﴿والآخرة خير وأبقى﴾ الأعلى آية ١٧.

٥ ـ ميزان الحياة الحقيقية: ﴿وإنَّ الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾ العنكبوت آية ٦٤.

٦ ـ ميزان الفرح: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير ممّا يجمعون﴾ يونس آية ٥٨.

٧ ـ ميزان الخيرية: ﴿كنتم خير أمّة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ آل عمران آية ١١٠.

٨ ـ ميزان السعادة: ﴿بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ الحديد آية ١٢. ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ المائدة آية ١١٩.

٩ ـ ميزان الطاعة: ﴿فلا وربّك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثمّ لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضيت ويسلموا تسليماً﴾ النساء آية ٦٥ . ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ الحشر آية ٧.

١٠ ـ ميزان التأسيس: ﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار﴾ التوبة ١٠٩. ﴿لمسجد أسس على التقوى من أوّل يوم أحقّ أن تقوم فيه﴾ التوبة ١٠٨.

١١ ـ ميزان ما يؤسف عليه: ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً﴾ الكهف ٦. ﴿فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً﴾ طه ٨٦.

١٢ ـ ميزان الأسوة: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ الأحزاب ٢١. ﴿لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ الممتحنة ٦. «قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه» الممتحنة ٤.

١٣ ـ ميزان الأمر الحقّ: ﴿إنَّ الله لا يأمر بالفحشاء، أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ الأعراف ٢٨. ﴿إنَّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى﴾ النحل ٩٠. ﴿هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم﴾ النحل ٧٦. ﴿فاستقم كما أُمرت﴾ هود ١١٢.

١٤ ـ ميزان الأمل: ﴿والباقيات الصالحات خير عند ربِّك ثواباً وخير أملاً﴾ الكهف ٤٦.

١٥ ـ ميزان الامامة: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ السجدة ٢٤.

١٦ ـ ميزان التأويل: ﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾ الإسراء ٣٥. ﴿وما يعلم تأويله إلّا الله﴾ آل عمران ٧.

١٧ ـ ميزان التأييد: ﴿فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين﴾ الصف ١٤. ﴿هو الذي أيّدك بنصره وبالمؤمنين﴾ الأنفال ٦٢. ﴿والله يؤيِّد بنصره من يشاء﴾ آل عمران ١٣.

١٨ ـ ميزان الإنفاق: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كلّ البسط﴾ الإسراء ٢٩.

١٩ ـ ميزان البلاغ: ﴿يا أيُّها الرسول بلِّغ ما أنزل إليك من ربِّك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ ٦٧ المائدة.

٢٠ ـ ميزان البلاء: ﴿ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾ الأنبياء ٣٥. ﴿ولنبلونكم بشيءٍ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس﴾ البقرة ١٥٥. ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾ محمد ٣١. ﴿انّا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيُّهم أحسن عملاً﴾ الكهف ٧.

٢١ ـ ميزان الاتّباع: ﴿فمن تبعني فإنَّه مني ومن عصاني فإنَّك غفور رحيم﴾ إبراهيم ٣٦. ﴿ولا تؤمنوا إلاّ لمن تبع دينكم﴾ آل عمران ٧٣. ﴿فمن اتّبع هداي فلا يضلّ ولا يشقى. ومن أعرض عن ذكري فإنَّ له معيشة ضنكا﴾ طه ١٢٣. ﴿ومن أحسن ديناً ممّن أسلم وجهه لله وهو محسن، واتّبع ملّة إبراهيم حنيفاً﴾ النساء ١٢٥.

٢٢ ـ ميزان الاخلاص: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ النساء آية ٤٨. ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ النحل آية ١٠٦، ﴿ أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه﴾ المجادلة ٢٢.

٢٣ ـ ميزان الخشية: ﴿أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين﴾ التوبة ١٣ ﴿ألم يأن للذين امنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾ الحديد ١٦. ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً﴾ الأنفال ٢.

٢٤ ـ ميزان العمل: ﴿وقل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ التوبة آية ١٠٥.

٢٥ ـ ميزان الولاء: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾ المائدة آية ٥٥.

٢٦ ـ ميزان الحب: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ آل عمران آية ٣١. ﴿قل إن كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن

ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ التوبة ٢٤.

٢٧ ـ ميزان الهداية: ﴿ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم﴾ آل عمران ١٠١ ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ العنكبوت ٦٩ ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ القصص آية ٥٦.

٢٨ ـ ميزان البر: ﴿ولكن البر من اتقى﴾ البقرة ١٨٩ ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وءاتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء وا لضراء وحين البأس﴾ البقرة آية ١٧٧.

٢٩ ـ ميزان الصدق: ﴿يا أيها الذينُ آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) الصف آية ٢.

٣٠ ـ ميزان التحسين في القول: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾ فصلت آية ٣٣.

٣١ ـ ميزان الثبات: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ سورة محمد آية ٧. ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ ابراهيم آية ٢٧.

٣٢ ـ ميزان كيفية الأخذ للمنهج: ﴿فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها﴾ الأعراف ١٤٥ ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا﴾ البقرة آية ٩٣.

ب ـ **حقيقة السعادة في الإسلام ومقياسها وعلاقة ذلك بالمرض:** إن معنى ومفهوم السعادة في الإسلام هو الميزان والمعنى الحقيقي للسعادة الحقيقية، فهي

ليست سعـادة محدودة بـدنيا في شكـل مال أو عـرض أو لـذة عـابـرة أو جـاه أو منصب ولكنهـا اعمق واشمـل وأكـبر، ﴿**المـال والبنـون زينـة الحيـاة الـدنيـا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً**﴾ «الكهف ٤٦» ﴿**زين للنـاس حب الشهوات من النسـاء والبنين والقنـاطير المقنـطرة من الذهب والفضة والخيل المسـومة والأنعـام والحرث ذلـك متاع الحيـاة الدنيـا والله عنـده حسن المآب**﴾ «آل عمـران ١٤» ﴿**فمن زحـزح عن النـار وادخـل الجنة فقد فاز**﴾ آل عمران ١٨٥».

قـال تعالى: ﴿**ولـولا أن يكون النـاس أمة واحـدة لجعلنا لمن يكفـر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهـرون * ولبيوتهم أبـواباً وسررا عليها يتكئون * وزخرفاً**﴾ معناها، لولا أن يجتمعوا على الكفر، ميـلاً إلى الدنيا وزخرفها، أو يرغبوا فيه إذا رأوا الكفار في سعة وتنعم، لجعلنا وأعطينا في الدنيا ما وصفناه، لهوان الدنيا عندنا.[1].

إن السعـادة الحقيقية هي التي تصـاحب الإنسان في اهم مـراحل حيـاتـه، يقول صاحب الظلال عن سعة الحياة في التصور الإسلامي:

فالحياة في التصور الإسلامي ليست هي هذه الفترة القصيرة التي تمثل عمر الفرد. وليست هي هذه الفترة المحدودة التي تمثل عمر الأمة من الناس. كما أنها ليست هي هذه الفترة المشهودة التي تمثل عمر البشرية في هذه الدنيـا. إن الحياة في التصور الإسلامي تمتد طولاً في الزمان وتمتد عرضـاً في الافاق وتمتـد عمقاً في العوالم وتمتد تنوعاً في الحقيقة.. عن تلك الفترة التي يراها ويـظنها ويتـذوقها من يغفلون الحيـاة الآخـرة من حسـابهم ولا يؤمنـون بهـا. ان الحيـاة في التصـور الإسلامي تمتد في الزمان، فتشمل هذه الفترة المشهودة ـ فترة الحياة الدنيا ـ وفترة الحياة الأخرى التي لا يعلم مداها إلا الله والتي تعد فترة الحيـاة الدنيـا بالقيـاس إليها ساعة من نهار.[2].

---

(١) الدين الخالص ص ٤٩٥/ جـ ٤.

(٢) طريق الدعوة. ص ٣٧٠.

عن المسور بن شداد قال: كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله ﷺ على السخلة الميتة، فقال: «أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها؟ قالوا: من هوانها ألقوها يارسول الله. قال: «فإن الدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها»، رواه الترمذي وحسنه.

وعن قتادة بن النعمان أن رسول الله ﷺقال: «إذا أحب الله عبداً، حماه من الدنيا، كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء» أخرجه الترمذي، وقال: حسن غريب.

وعن أبي هريرة يرفعه: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» أخرجه مسلم قال تعالى: ﴿**وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين**﴾ الأنعام ٢٩.

إن ميدان السعادة في الإسلام يمتد ليشمل الدنيا والقبر والآخرة وهذا هو الامتداد الحقيقي لحياة الإنسان، وان مفهوم السعادة على أنه سعادة الدنيا هو مفهوم محدود ضيق لأنه يمتد لفترة قصيرة جداً لا تكادُ تذكر، ثم ان السعادة فيه لا تصفو بحال من الأحوال لبشر لأنه خلق بطبيعته مشغولاً بأمور أخرى كثيرة تمنعه من المتعة الحقيقية ﴿**لقد خلقنا الإنسان في كبد**﴾ البلد «٤»، وكم هي الفترات التي يكون فيها الإنسان سعيداً في حياته؟ ومن هنا امتدت سعادة المسلم واتسعت بفضل الله وكرمه ومنّه لتشمل القبر وهو امتداد أكبر من هذه الحياة الدنيا بسنواتها المحدودة (عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن العبد إذا وضع في قبْره وتولى عنه أصحابه، وانه ليسمع قَرْعَ نعالهم، إذا انصرفوا أتاه الملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فأما المؤمن فيقول: اشهد أنه عبدالله ورسوله، فيقال له: أنظر مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة. قال النبي ﷺ: فيراهما جميعاً، قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح له في قبره ـ وأما الكافر ـ أو المنافق ـ فيقول لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس فيه، فيقال: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين) رواه البخاري واللفظ له، ومسلم. يقال لادريت ولا تليت أي لا تبعت الناس بأن تقول شيئاً

يقولونه.

(وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (إن الموتى ليعذبون في قبورهم حتى ان البهائم لتسمع أصواتهم) رواه الطبراني الكبير باسناد حسن).

ثم امتدت الامتداد الأهم لتشمل الآخرة بكل ما فيها من نعيم ورغد خالص لا تشوبه شائبة ولا يشغل عنه شاغل ولا ينازعه فيه أحد، وفوق ذلك كله، نعمة النظر إلى وجه الله الكريم وفيه سعادة لا تفوقها أو تساويها سعادة، وفرحة لا تساويها فرحة (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) القيامة ٢٢+ ٢٣.

«وقد استنبط بعض العلماء إمكان رؤيته تعالى في الدار الآخرة لأنها ـ في الدنيا ـ لا تمكن، لكون الحجب الجسمانية متراكمة.

فإذا سقطت تلك الحجب طلعت شمس الجمال وصار كأنك تراه بمنزلة أنك تراه، كما ورد بذلك الحديث الصحيح: «سترون ربكم يوم القيامة الخ».

وقد وصى ﷺ في حديث الرؤية بالمحافظة على الصلاة في أول اليوم وآخره، لكونهما ميقات رؤيته تعالى في الجنة.

يعني بذلك حصول الملكة لشهود الذات العالية، والاستعداد لرؤيتها البصرية»[1].

إن السعادة في القبر والسعادة في الآخرة والسعادة بالنظر لوجه الله الكريم هي ولا شك الاكبر والأعمق والأعظم والأحسن، وتزداد ضخامةً وعظمةً إذ يصاحبها الخلود **﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأُتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون﴾** «البقرة ٢٥». **﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾** «العنكبوت ٦٤».

---

(١) الدين الخالص ص ١١٠، ١١١/ جـ٣.

فالدنيا ليست دار السعادة التامة وإن تحقق فيها شيء من ذلك فبفضل الله ومنّته.

وأعجب الأشياء اغترار الإنسان بالسلامة، وتأميله الاصلاح فيما بعد وليس لهذا الأمل منتهى، ولا للإغترار حد. فكلما أصبح وأمسى معافى، زاد الإغترار وطال الأمل.

وأي موعظة أبلغ من أن ترى ديار الاقران وأحوال الاخوان وقبور المحبوبين فتعلم أنك بعد أيام مثلهم، ثم لا يقع انتباه حتى ينتبه الغير بك، هذا والله شأن الحمقى. حاشا من له عقل أن يسلك هذا المسلك.

بلى والله ان العاقل ليبادر السلامة، فيدخر من زمنها للزمن، ويتزود عند القدرة على الزاد لوقت العسرة.

خصوصاً لمن قد علم أن مراتب الآخرة إنما تعلو بمقدار علو العمل لها وأن التدارك بعد الفوت لا يمكن. وقدّر أن العاصي عفى عنه، أينال مراتب العمال؟

ومن أجال على خاطره ذكر الجنة التي لاموت فيها ولا مرض ولا نوم ولا غم، بل لذّاتها متصلة من غير إنقطاع، وزيادتها على قدر زيادة الجد، ههنا انتهب هذا الزمان فلم ينم إلا ضرورة، ولم يغفل عن عمارة لحظة. ومن رأى أن ذنباً قد مضت لذته وبقيت آفاته دائمة، كفاه ذلك زاجراً.[1].

إن الدنيا دار امتحان وابتلاء، لكنه امتحان سهل اذا ارتبط فيه الإنسان بربه وتوكل عليه، لأنه عند ذلك يعرف السؤال والإجابة (ماكنت تقول في هذا الرجل ؟) والله عز وجل ييسرها له **﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾** ابراهيم ٢٧ **﴿طه. ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾** «طه ١، ٢».

---

(١) صيد الخاطر فصل ٢٣٦.

ومهما بلغ الإنسان في هذه الدنيا من سعادة فإنها ليست بشيء لأنها محدودة قصيرة، وأما إن كانت والعياذ بالله من طريق حرام، فهي وبال على صاحبها لأنها تمنعه من السعادة الحقيقية الدائمة التامة، التي تشيح بوجهها عنه لأنه آثر القليل الزائل وترك الكثير الباقي.

عن سهل بن سعد رضي الله عنهما قال: قال رسول ﷺ: (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء). أخرجه الترمذي[1].

فحظ الإنسان من السعادة الحقيقية الدائمة في الآخرة هو بمقدار ما يتمسك الإنسان في هذه الدنيا بما جاءه من ربه (جزاء وفاقا) النبأ «٢٦» (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً) الملك «٢» (إن للمتقين مفازا) النبأ «٣١» (أفنجعل المسلمين كالمجرمين. مالكم كيف تحكمون؟) القلم «٣٦».

﴿إنَّ للمتقين عند ربِّهم جنّات النعيم﴾ القلم ٣٤. **﴿جزاء من ربِّك عطاء حساباً﴾** النبأ ٣٦. **عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: يقال لصاحب القرآن: إقرأ وآرتق ورتِّل كما كنت ترتِّل في الدنيا، فإنَّ منزلتك عند آخر آية تقرؤها** رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: **﴿إنَّ الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين﴾** رواه مسلم.

فمن أعدّ للآخرة عدته وآلتزم وعمل بصبر وثبات حسب أوامر الله عزَّ وجلَّ وسنَّة رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم فقد فاز **﴿واصبر وما صبرك إلاّ بالله﴾** النحل «١٢٧». وعلى الإنسان إن يتذكَّر أنَّ الدنيا محدودة ولها نهاية **﴿لكلّ أجلٍ كتاب﴾** الرعد «٣٨».

قال تعالى **﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعةً، ولا يستقدمون﴾** ٦١

---

(١) تيسير الوصول ١٣٢. جـ ٢.

النحل. أي أنَّ الأجل مقدّر معلوم محدود وعند انتهائه لا يؤجَّل.

وتكتمل الأشياء عند انتهائها، فالمرء إذن لا يمهل ولا ينظر له في عمره وبالمثل لا يختصر عليه ولا يختزل منه.

وقد قدم التأخير على التقديم لبيان شدّة الحسم في قضاء الله عزَّ وجلَّ. ولأنَّ النفس دائماً تتمنّى أن ينظر لها في عمرها وأن يطول بقاؤها في هذه الحياة فقطع عليها ما ترمي إليه.

ولا يستقدمون: أي لا يختصر عليهم أجلهم دلالة على ثبات القانون الإلهي وأنَّه حاسم ان قضى أمراً أن يقول له كن فيكون.[1]

إنَّ السعادة هي سعادة الآخرة، والسعادة في القبر الواسع والسعادة برضاء الله جلَّ وعلا.

إنَّها السعادة بالخلود في النعيم وبالنظر لوجه الله الكريم.

إنَّها السعادة الحقيقية الدائمة التامة.... أمّا السعادة بالمال أو الأولاد أو المنصب والجاه، فهي سعادة مؤقتة زائلة، ذلك أنَّ الدنيا كلّها لا تساوي بالنسبة للآخرة والخلود شيئاً فإن أي رقم قياساً للخلود (ما لا نهاية) يساوي صفراً، فكيف بسنوات فيها أو لحظات.

عن أنس رضي الله عنه، أنَّ النبي صلّى الله عليه وسلَّم قال: **﴿اللّهم لا عيش إلاّ عيش الآخرة﴾** متفق عليه.

وعنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: **﴿يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة، ثمّ يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قطّ؟ هل مرّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا ربّ.**

ويؤتى بأشدّ الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنّة، فيصبغ صبغةً في الجنّة، فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط؟ هل مرّت بك شدّة قط؟

---

(١) الأعجاز الطبي في القرآن ٢١ ـ تأليف د. السيد الجميلي ـ طباعة دار التراث العربي

فيقول: لا، والله ما مرَّ بن بؤس قط، ولا رأيت شدَّة قط﴾. رواه مسلم.

وعن المستورد بن شدّاد رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: **﴿ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع؟﴾**. رواه مسلم.

هذا هو مفهوم السعادة الحقيقية وميزانها في الإسلام، إنَّها السعادة بالفوز في الآخرة، ولذلك كان الإسلام حريصاً كل الحرص على أن يدخل المسلم الجنّة برحمة الله أولاً ثمَّ بتوفيق الله له للعمل، مع حرصة عليه لكي لا يهدمها بذنوبه فيكون من أصحاب النار والعياذ بالله **﴿جزاءً وفاقاً﴾** النبأ «٢٦». **﴿جزاء من ربِّك عطاء حساباً﴾** النبأ «٣٦».

ومن هنا وبعد هذا التمهيد فلو عاش إنسان مريضاً طوال عمره وهو يقوم بتكاليف دينه قدر إستطاعته، إن كان قادراً على شيء، فإنّه وبعد أن يغفر الله له ذنوبه سيفوز بإذن الله ذلك الفوز الحقيقي، وماذا عندئذ لو ضاعت منه سعادة الدنيا فهي هزيلة لا قيمة لها بميزان السعادة الحقيقية.

الباب الثالث
أقسام المرض

المرض نوعان:

١ ـ ما يولد المرء به ويسمّى (التشوهات الخلقية).
٢ ـ الطارئة: وهي التي يصاب بها الإنسان بعد ولادته الطبيعية.

والطارئة أقسام منها:

أ ـ ما يعيق إعاقة كاملة دائمة.
ب ـ ما يعيق إعاقة كاملة غير دائمة.
جـ ـ ما يعيق إعاقة غير كاملة ودائمة.
د ـ ما يعيق إعاقة غير كاملة وغير دائمة.
هـ ـ ليست ذات إعاقة مطلقاً.

ومن أمثلة الأمراض الطارئة:

أ ـ من القسم الأوّل:

كشلل الدماغ عند الأطفالCerebral Palsyنتيجة إلتهاب في الدماغ أو نقص تروية الدم بعد الحوادث أو غيره، أو اثر حادث عند الكبار أو كالشلل الرباعي Quadriplegia وهذا يبقى مع المريض حتى موته.

ب ـ من القسم الثاني:

كحدوث نزيف في الدماغ أو غيبوبة لفترة من الزمان أو اثر العمليات الكبرى الجراحية. أو غيبوبة نتيجة زيادة أو نقص السكر أو زيادة البولينا في الدم.

جـ ـ من القسم الثالث:

مثل الشلل الثنائيParaplegiaأو العمى أو الصمم غير الكامل.

د ـ من القسم الرابع: مثل كسر عظم الفخذ أو الحوض.

هـ ـ من القسم الخامس: مثل الرشوحات والانفلونزا وأمثاله.

والتكليف في كل حالة على قدر إستطاعة ذلك المريض ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ النور «٦١».

﴿لا يكلِّف الله نفساً إلّا وسعها﴾ البقرة «٢٨٦».

أما الأمراض الخلقية: وهي الأمراض التي يولد الطفل بها ومن أمثلتها شلل الدماغ الوراثي أو نتيجة اليرقان بعد الولادة أو أثناء الحمل أو المنغولية.

فإن من يصاب بهذه الأمراض يتعذّب ولا شكّ، عذاباً نفسياً أو جسدياً، في هذه الدنيا، ولكنَّه إن قام بالتكاليف قدر إستطاعته (إن كان عليه تكاليف) فإنّه عند ذلك ينال رضاء ربِّه ويدخل الجنّة بإذن الله، وإنَّ عذاب الدنيا كلّها ليس بشيء أمام نعيم الجنّة.

إنَّ هذا المريض يتعرض لآلام جسدية ونفسية عميقة ولكنَّها تهون، عند من كان مكلّفاً، بالإرتباط بالله وبفهم كتابه الكريم وسنَّة رسوله صلّى الله عليه وسلّم وسنن الكون والمجتمعات، وتهون كذلك أمام نعيم الجنّة وخلودها، ورضاء الله ورحمته.

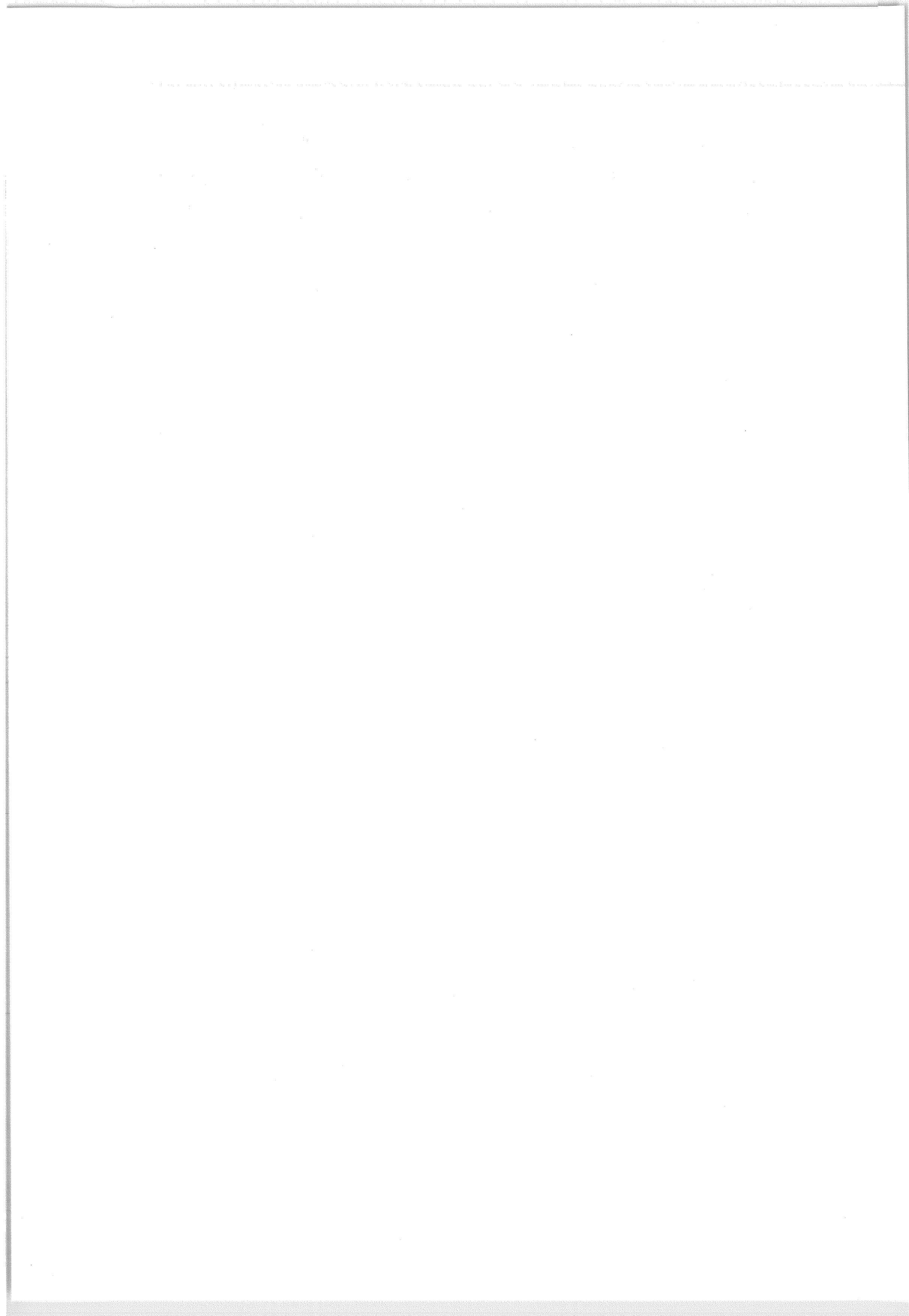
إنَّ الأمراض الخلقية التي تنجم عن شذوذ الأصباغ في الأمشاج تقف حجر عثرة أمام الطبّ.

لا حيلة للطبّ فيها ولا قبل له بها فقد أخفق في القضاء عليها تماماً ولا توجد له وسيلة في دفعها أو القضاء عليها إنَّما يقوم بالتقليل من مضاعفاتها بالتقويم[1].

(١) الأعجاز الطبي في القرآن ـ ٣٥ ـ د. السيد الجميلي.

عن عـائشـة رضي الله عنهـا قـالت: «تـوفي صبي. فقلت: طـوبى لـه، عصفـور من عصافـير الجنّـة. فقـال رسـول الله صـلّى الله عليـه وسلّم: **(أولا تدرين أنَّ الله خلق الجنّة وخلق النـار، فخلق لهذه أهـلاً، ولهذه أهـلاً)**.

أخرجه مسلم وأبو داوود والنسائي.



الباب الرابع

(لماذا خلق الله الأمراض؟)

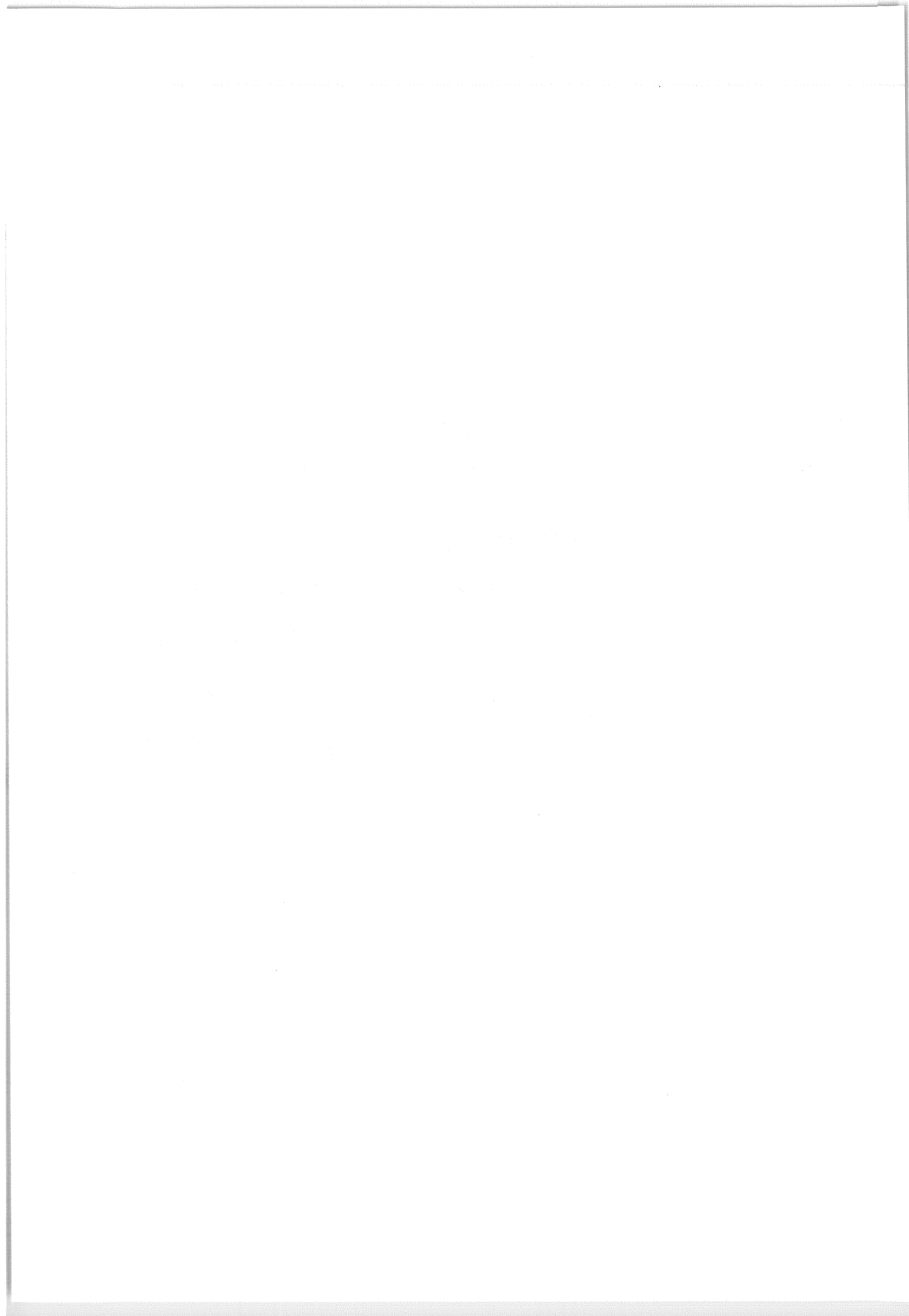
أ ـ الرد على التساؤل من الناحية العقائدية

١ ـ نفي الظلم عن الله عز وجل هو مصداق الإيمان.

٢ ـ كيفية توجيه السؤال.

٣ ـ حكم سب الدهر والهزء بشيء من الدين.

٤ ـ قدر محكم، وتوازن كوني.



أ ـ الرد على التساؤل من الناحية العقائدية

١ ـ نفي الظلم عن الله عز وجل مصداق الإيمان:

إن على الإنسان المسلم أن يصبر ويحتسب مرضه عند الله عز وجل وأن يؤدي ما عليه ما استطاع، والله عز وجل يغفر له إن شاء ويدخله الجنة وهذا هو مصداق الإيمان واليقين.

إن الظلم منفي عن الله عز وجل ﴿**إن الله لا يظلم مثقال ذرة**﴾ النساء «٤٠» ﴿**إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون**﴾ يونس «٤٤».

«ولنذكر حاصله ليعتقده الطالب اعتقاداً قاطعاً لا يستريب فيه وهو أن يصدق تصديقاً يقينياً لا ضعف فيه ولا ريب أن الله عز وجل لو خلق الخلق كلهم على عقل أعقلهم وعلم أعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم وأفاض عليهم من الحكمة مالا منتهى لوصفها ثم زاد مثل عدد جميعهم علماً وحكمة وعقلاً ثم كشف لهم عن عواقب الأمور وأطلعهم على أسرار الملكوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير والشر والنفع والضر ثم أمرهم أن يدبروا الملك والملكوت بما أعطوا من العلوم والحكم لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه أن يزاد فيما دبر الله سبحانه الخلق به في الدنيا والآخرة جناح بعوضة ولا أن ينقص منها جناح بعوضة ولا أن يرفع منها ذرة ولا أن يخفض منها ذرة ولا أن يدفع مرض أو عيب أو نقص أو فقر أو ضر عمن بلى به ولا أن يزال صحة أو كمال أو غنى أو نفع عمن أنعم الله به عليه بل كل ما خلقه الله تعالى من السموات والأرض إن رجعوا فيها البصر وطولوا فيها النظر ما رأوا فيها من تفاوت ولا فطور وكل ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق وأجل وسرور

وحـزن وعجز وقـدرة وإيمان وكفـر وطاعـة ومعصية فكله عـدل محض لا جور فيـه وحق صرف لا ظلم فيـه بل هـو على الـترتيب الواجب الحق عـلى مـا ينبغي وكـما ينبغي، وبـالقدر الـذي ينبغي، وليس في الإمكـان أصـلاً أحسن منـه ولا أتم ولا أكمل». [1]

إن هذا الإنسان الصابر عندما يفوز بالجنة بإذن الله فأين الظلم في حقـه؟ إنه منتهى العدل والكرم من الله عز وجل أن يدخل إنساناً الجنة مقـابل عـذاب سنوات أو أيام أو مقابل فوات الدنيا على ذلك الإنسان، لحكمة أرادها الله جل وعلا في ذلك الإنسان أو مجتمعه أو الكون بأسره.

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنـه أنه قـال لابنه عنـد الموت: (يـابني إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخـطأك لم يكن ليصيبك، فـإني سمعت رسول الله ﷺ يقـول: إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب قـال: يا رب ومـا أكتب؟ قال: أكتب مقـادير كـل شيء حتى يوم القيامة يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول من مـات على غـير هذا فليس مني). أخرجه أبو داود: وهذا لفظه والترمذي. [2].

قال تعالى: ﴿**إنا كل شيء خلقناه بقدر**﴾ القمر «٤٩». انه كـرم عظيم ومنّة بالغة أن يدخل الله عز وجل المسلم الجنة بمرضه، كيف لا وهـو جل وعـلا يملك أن يعـذبه وأن لا يـدخله الجنة ﴿**لا يُسـأل عـما يفعـل وهم يُسـألـون**﴾ الأنبياء «٢٣».

فهـو الملك المهيمن الخالق البـارىء المتكبر وهـو جل وعـلا رحيم كريم عادل وهو الودود بعباده بما هو أهل له لا بما هم أهل له.

وأمـا من لم يصل بـه العمر إلى سن التكليف فـمات صغيراً فهـذا كذلـك جزاؤه الجنة وهو من طيورها.

---

(١) الإحياء ص ٢٥٢/جـ ٤ عيسى البابي الحلبي ـ إحياء علوم الدين للإمام الغزالي.

(٢) تيسير الوصول ص ٤٤. /جـ ٤.

يقول صاحب الدين الخالص:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «دعى رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار» أي ليصلي عليها والجنازة - بكسر الجيم وفتحها - وقيل: الأول بمعنى الميت، والآخر، بمعنى سريره، أو بالعكس «فقلت: يا رسول الله، طوبى لهذا «أي طيب العيش له» عصفور من عصافير أهل الجنة» أي هو مثله، من حيث أنه لا ذنب عليه، وينزل في الجنة حيث شاء.

أطلقت عليه لفظة العصفور لصغر سنه وحداثة عمره، وحكمت عليه بالجنة، لكونه مغفوراً له في اعتقادها، لم يعمل السوء، ولم يدركه. «فقال: أو غير ذلك «روى لفظ» أو بفتح الواو وبسكونها.[1]

«ويقول (والذي علم من ضروريات الدين، بنص الكتاب والسنة واجماع أهل الدين عليه، هو أن أطفال المسلمين في الجنة).[2]

ويقول أيضاً: «وفي أطفال الكافرين ثلاثة أقوال: أحدها دخولهم في النار والثاني: التوقف. والثالث: كونهم في الجنة. وهذا القول الأخير أصح فإنه علم من الضرورة الدينية أن الله لا يعذب بريّاً من الذنوب».[3]

أما من أصابه اعاقة في كبره فقد اسعده الله في طفولته عاشها بلا تكليف ثم أعاقه عند الكبر وكلفه على قدر استطاعته، وإن غفر الله عز وجل له وأدخله الجنة لينال من نعيمها فإنها المنة من الله والكرم من الكريم.

إن الله عز وجل بعدله وكرمه قد جعل من المرض إن احتسبه العبد عند الله تكفيراً للسيئات والذنوب، وان هذا المرض هو لخير إرادة الله عز وجل لذلك الإنسان، عن صهيب بن سنان رضي الله عنه. أن رسول الله ﷺ، قال: (عجباً لأمر المؤمن ان أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن -

---

(١) الدين الخالص ص ١٨٤/جـ ٣.
(٢) الدين الخالص ص ١٨٥/جـ ٨٣
(٣) الدين الخالص ١٨٥/ جـ ٣.

أصابته سراء شكر فكان خيراً، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً) أخرجه مسلم.[1]

فمع المرض يسقط التكليف كلياً أو جزئياً ويؤجر بالصبر عليه وعلى كل ما كان يعمله قبل اعاقته إن كان عمله ذلك راتباً وهذا فضل من الله عظيم.

وأما والعياذ بالله من كفر وارتد وشك واعترض، إن كان عاقلاً بالغاً مكلفاً، فمهما كانت درجة اعاقته الجسدية فإنه يعذب بمرضه في الدنيا، لخبث في نفسه ويعذب في الآخرة بالنار.

إن الابتلاء بالمرض قد يكون سبباً جعله الله ليكشف للناس خبث نفس ذلك المريض فيكونوا شهداء عليه، لا تخفى حقيقته عنهم.

«فإن الإيمان ليس كلمة تقال باللسان، إنما هو حقيقة ذات تكاليف، وأمانة ذات أعباء وجهاد يحتاج إلى صبر، وجهد يحتاج إلى احتمال. فلا يكفي أن يقول الناس: آمناً. وهم لا يتركون لهذه الدعوى حتى يتعرضوا للفتنة فيثبتوا عليها ويخرجوا منها صافية عناصرهم، خالصة قلوبهم، كما تفتن النار الذهب لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به. وكذلك تصنع الفتنة في القلوب (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) هذه الفتنة على الإيمان أصل ثابت وسنة جارية في ميزان الله سبحانه: (ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) والله يعلم حقيقة القلوب قبل الابتلاء. ولكن الابتلاء يكشف في عالم الواقع ما هو مكشوف لعلم الله، مغيب عن علم البشر، فيحاسب الناس إذن على ما يقع من عملهم، لا على مجرد ما يعلمه سبحانه من أمرهم. وهو فضل من الله من جانب، وعدل من جانب، وتربية للناس من جانب، فلا يأخذوا أحداً إلا بما استعلن من أمره، وبما حققه فعله، فليسوا بأعلم من الله بحقيقة قلبه.[2]

---

(١) تيسير الوصول ص ١٥/ جـ ١.
(٢) طريق الدعوة ص ٢٢٧.

«وههنا يظهر قدر قوة الإيمان لا في ركعات. قال الحسن البصري: استوى الناس في العافية، فإذا نزل البلاء تباينوا[1]

إن أسمى هدف للإنسان المسلم هو مرضاة ربه عز وجل ثم الجنة، فهنيئاً لمن بلغه الله الجنة بالابتلاء والصبر وقد كان لا يستطيع ذلك لو بقي صحيحاً.

(١) صيد الخاطر ٢٢٤.

٢ ـ كيفية توجيه السؤال؟

كثيراً ما تطرح أسئلة اعتراض وانكـار، فهناك دائـماً شبهة كـاذبة أو الأمنيـة العاتبة: لماذا يا رب؟[١]

وهذه الأسئلة التي ظاهرها الإعتراض على فعل الله عز وجل لا تجتمع مع الإيمـان، «فمنهم من يشكو الـزمـان ويشتمـه وهـو في حكم سب الـدهـر، لأن الأفـلاك، والسموات والأزمنـة، ليس إليها شيء، إنمـا الفاعـل للكل، هـو الله سبحانه»[٢].

فـإنه تعـالى (ليس كمثله شيء) الشورى «١١» وليس لأحـد أن يسألـه عن فعله ﴿**لا يُسـأل عما يفعـل وهم يُسألـون**﴾ الأنبياء «٢٣» ﴿**إنـا كـل شيء خلقنـاه بقدر**﴾ القمر «٤٩».

عن جابر رضي الله عنـه قال: (قـال رسول الله ﷺ: (لا يؤمن عبـد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه). أخرجه الترمذي.

فمنـطق الإيمـان يقتضي عـدم سؤال الله عـز وجـل مثـل هـذه الأسئلة الإعتراضية. أما السؤال للمعرفة والاستيضاح أو البحث عن الحقيقـة فلا بـأس به، ولكن دون أن يكون مبنياً على الشك أو سوء النية أو الهزء.

---

(١) طريق الدعوة ص ٣٥.

(٢) الدين الخالص ص ٥٤٦/جـ ٤.

يقول محمد صديق حسن في كتاب الدين الخالص عن حكم الهزءَ بالدين:

«ومن ذلك الهزل بشيء فيه ذكر الله، أو الرسول أو القرآن، أو السنة. وهذا الهزل كفر بواح، قال تعالى: ﴿**ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب. قل: أبا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون؟* لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم**﴾ أي بهذا المقال الذي استهزأتم به».

قال شيخ الإسلام: أخبر أنهم كفروا بعد إيمانهم، مع قولهم: انا قد تكلمنا بالكفر من غير اعتقاد له، بل إنما كنا نخوض ونلعب، وبيَّن أن الاستهزاء بآيات الله كفر، ولا يكون هذا إلا ممن شرح صدره بهذا الكلام. ولو كان الإيمان في قلبه، لمنعه من أن يتكلم به».[1].

ويقول ابن الجوزي عن حكمة الله عز وجل وعدم قياس أفعاله على أفعال البشر:

ونراه يؤلم الحيوان والأطفال وهو قادر ألا يفعل ذلك. فإن قال قائل: إنه يثيب على ذلك.

قلنا وهو قادر أن يثيب بلا هذه الأشياء، فإن السلطان لو أراد أن يغني فقيراً فجرحه ثم أغناه ليم على ذلك، لأنه قادر أن يغنيه بلا جراح.

ثم من يرى ما جرى لرسول الله ﷺ وعلى أصحابه من الجوع والقتل مع قدرة الناصر، ثم يسأل في أمة فلا يجاب.

غير أن الحق سبحانه لا تقاس أفعاله على أفعالنا ولا تعلل. والذي يوجب علينا التسليم أن حكمته فوق العقل، فهي تقضي على العقول، والعقول لا تقضي عليها. ومن قاس فعله على أفعالنا غلط الغلط الفاحش[2].

ويقول رحمه الله:

فإن قال قائل: فكيف يمكنني أن أقود عقلي إلى ما ينافيه؟ قلنا: لامنافاة

---

(١) الدين الخالص ٥٤٦، ٥٤٧/ جـ٤.

(٢) صيد الخاطر ص ٣٩٦

لأن العقل قد قطع بالدليل الجلي أنه حكيم، وأنه مالك، والحكيم لا يفعل شيئاً إلا لحكمة، غير أن (تلك) الحكمة، لا يبلغها العقل.

ألا ترى أن الخضر خرق سفينة وقتل شخصاً، فأنكر عليه موسى عليه السلام بحكم العلم، ولم يطلع على حكمة فعله، فلما أظهر له الحكمة أذعن؟ ولله المثل الأعلى.

فإياك أن تقيس شيئاً من أفعاله على أفعال الخلق، أو شيئاً من صفاته أو ذاته سبحانه وتعالى. فإنك إن حفظت هذا سلمت من التشبيه الذي وقع فيه من رأى الاستواء اعتماداً، والنزول نقلة، ونجوت من الاعتراض الذي أخرج قوماً إلى الكفر حتى طعنوا في الحكمة.

وأول القوم ابليس. فإنه رأى تقديم الطين على النار ليس بحكمة، فنسى أنه إنما علم ذلك بزعمه بالفهم الذي وهب له، والعقل الذي منحه فنسى أن الواهب أعلم «أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة»[1].

---

(١) صيد الخاطر ص ٣٩٧.

٣ - بيان حكم سَبّ الأيام والدهر

يذكر صديق خان حكم سبّ الأيام والدهر فيقول:

فمن ذلك أنَّ من سبّ الدهر فقد آذى الله، قال الله تعالى: «وقالوا ما هي إلّا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلّا الدهر» الجاثية ٢٤

قال إبن كثير في تفسيره: يخبر تعالى عن دهرية الكفار، ومن وافقهم من مشركي العرب، في إنكار المعاد، وقالوا: «ما هي إلّا حياتنا الدنيا الخ». ما ثمّ إلّا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخر، وما ثمّ معاد ولا قيامة.

وهذا يقوله مشركو العرب والمتنكرون للمعاد، ويقوله الفلاسفة الدهرية المنكرون للصانع المعتقدون أن في كلّ ستة وثلاثين ألف سنة يعود كلّ شيء إلى ما كان عليه، وزعموا أنَّ هذا قد تكرر مرّات لا تتناهي، وكابروا المعقول وكذبوا المنقول، ولهذا قالوا: «وما يهلكنا إلّا الدهر»، قال سبحانه: «وما لهم بذلك من علم ان هم الّا يظنّون» أي يتوهمون، ويتخيلون.

وأمّا الحديث الذي أخرجه في الصحيح، ورواه أبو داود، والنسائي عن أبي هريرة يرفعه: «يقول الله: يؤذيني ابن آدم، يسبّ الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار»، وفي رواية: «لا تسبّوا الدهر، فإني أنا الدهر» وفي أخرى: «يقول ابن آدم: يا خيبة الدهر، وإني أنا الدهر، أرسل الليل والنهار، فإذا شئت قبضتهما».

قال في شرح السنّة: حديث متّفق على صحته، أخرجاه من طريق معمر من أوجه عنه رضي الله عنه.

ومعناه: أنّ العرب كانت من شأنها ذمّ الدهر وسبّه عند النوازل، لأنّهم كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره، فيقولون: أصابتهم قوارع الدهر، وأبادهم الدهر، فإذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد، سبّوا فاعلها، فكان مرجع سبّها إلى الله عزَّ وجلَّ، إذ هو الفاعل - في الحقيقة - للأمور التي يصنعونها، فنهوا عن سبّ الدهر.

قال الشافعي، وأبو عبيد وغيرهما من الأئمة في تفسير قوله: «لا تسبُّوا الدهر» كانت العرب في جاهلّيتها، إذا أصابتهم شدّة، أو بلاء، أو ملامة قالوا: يا خيبة الدهر، فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبُّونه، وإنَّما فاعلها هو الله فكأنَّهم إنَّما سبُّوا الله سبحانه، لأنَّه فاعل ذلك في الحقيقة.[1]

إنَّ السائل يجب أن يكون على يقين من عدل الله وحكمته وعظمته، فلقد فطر الله الإنسان بحواس محدودة وعلمه القليل فهو لا يدرك أين هي سعادته الحقيقية وتحدِّدها له حواسه فيما يجد فيه اللذة والهوى والراحة وسكينة الجسد وتغرر به نفسه يدفعها ويقف من ورائها الشيطان همزاً وهمساً مضللاً، تدفعه إلى عكس ما يتمنّاه، ولكنَّ الله جلت قدرته أعلم بالغيب وهو يعلم وأنتم لا تعلمون.
المرض مع التقوى خير من الصحة والعافية مع الشرك بالله والعياذ به منه. لكن سؤالاً قد يرد على خاطر: لم المرض يهين الإنسان ويؤذيه ويعكِّر صفوه وينغص عليه حياته؟؟ ولولاه لبلغت السعادة في الدنيا غايتها.

ماذا يريد الله أو لأي حكمة أنزل المرض قضاءً وقدراً؟ نظرة متأنية فيها شيء من الهدوء والوقار ندرك أنَّ الله وضع كل شيء في موضعه وخلق الخلق بحكمة وصرف أمورهم بدقة لا تصل إليها حواس الإنسان مهما بلغ من العلم وهو القائل: «كتب عليكم القتال وهو كره لكم، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرّ لكم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون»[2].

---

(١) الدين الخالص ٥٤٣/٥٤٤/٥٤٥ حـ٤.
(٢) الإعجاز الطبي في القرآن ص١٤٦ د. السيد الجميلي.

والحق أنَّ الله تبارك وتعالى هو الكاتب لقوله تعالى - وما رميت إذ رميت ولكنَّ الله رمى - فإذا إنكشف لك أنَّ جميع ما في السموات والأرض مسخرات على هذا الوجه آنصرف عنك الشيطان خائباً وأيس عن مزج توحيدك بهذا الشرك[1].

إنَّ هدف السائل من السؤال يجب أن يكون طلب المعرفة الصحيحة والسعي وراء الخير لنفسه وللآخرين.

إنَّ الذي يعرف الله عزَّ وجلَّ حقّ معرفته لا يسأله معترضاً ولا يخطر بباله أن يسأله مثل هذا السؤال لأنَّه يعلم من يسأل وخطورة السؤال المعترض على فعل الله، ولأنَّه إعتراض على حكم الله وهو أحكم الحاكمين وأعدل العادلين، وأكرم الأكرمين، وهو اعتراض على حكم الحاكم الذي لا يحيط بحكمته أحد ﴿**لا يسأل عما يفعل وهم يسألون**﴾ الأنبياء «٢٣» وعلى قدر رؤية الصانع في المصنوع يقع الحبّ له.[1]

فإنه إذا لوحظت عظمة المخدوم، احتقر كلّ عمل وتعبُّد[2]».

قال تعالى ﴿**والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب**﴾ الرعد «٤١» ﴿**ملك يوم الدين**﴾ الفاتحة «٤» ﴿**أليس الله بأحكم الحاكمين**﴾ التين «٨».

إنَّ الإعتراض على قدر الله هو إعتراض على الخالق الوهّاب الذي إن شاء أعطى وإن شاء أخذ ﴿**ألا له الخلق والأمر**﴾ الأعراف «٥٤» ولا يسأل عما أعطى وما أخذ ﴿**فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾ المؤمنون «١٤» ﴿**قل اللّهمّ مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممّن تشاء وتعزّ من تشاء وتذلّ من تشاء بيدك الخير إنَّك على كلِّ شيءٍ قدير**﴾ آل عمران «٢٦»

---

(١) الأحياء ص ٢٤٢ - حـ ٤ - الحلبي - الإمام الغزالي - أحياء علوم الدين.
(٢) صيد الخاطر ص ٢٦.
(٣) صيد الخاطر ص ٤٧٣.

﴿ربَّنا لا تزغ قلوبنـا بعد إذ هـديتنا وهب لنـا من لدنـك رحمةً إنَّـك أنت الوهاب﴾ آل عمران «٨».

٤ ـ قدر محكم وتوازن كوني

إن الإيمان بقدرة الله عز وجل على كل شيء، وأنه جل وعلا قَدَرُهُ كله علم وحكمة، ان هذا الإيمان يجعل الإنسان المسلم راضياً بقدر الله مستسلماً له لا يعترض عليه ولا يشك فيه ولا يستنكره ولا يستهزيء به.

«فإن التوحيد يورث النظر إلى مسبب الأسباب، والإيمان بالرحمة وسعتها هو الذي يورث الثقة بمسبب الأسباب ولا يتم حال التوكل إلا بالثقة بالوكيل وطمأنينة القلب إلى حسن نظر الكفيل.[1]

إن المسلم يجب أن يعلم أن أفعال الله عز وجل كلها محكمة بحكمة يعلمها هو جل وعلا، وأنها لخير المسلم وذلة الكافر ﴿**إنا كل شيء خلقناه بقدر**﴾ القمر «٤٩».

ليس المؤمن بالذي يؤدي فرائض العبادات صورة، ويتجنب المحظورات فحسب، إنما المؤمن الكامل الإيمان، لا يختلج في قلبه اعتراض، ولا يساكن نفسه فيما يجري وسوسة. وكلما اشتد البلاء عليه زاد إيمانه وقوي تسليمه.

وقد يدعو فلا يرى للإجابة أثراً، وسره لا يتغير لأنه يعلم أنه مملوك وله مالك يتصرف بمقتضى إرادته، فإن اختلج في قلبه اعتراض خرج من مقام العبودية إلى مقام المناظرة، كما جرى لا بليس.

والإيمان القوي يبين أثره عند قوة البلاء[1]

---

(١) الإحياء ص ٢٥٢ ـ الغزالي ـ إحياء علوم الدين ـ الحلبي ـ جـ ٤.
(٢) صيد الخاطر فصل ١٩٤.

وإن الحكمة من وراء ذلك الفعل فوق تصور الإنسان أحياناً (رفعت الأقلام وجفت الصحف، من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح . فهذا الكون على اتساعه محكوم بقدرة الله المحكمة .

إن الذي يضع خطة الرحلة للطريق كله، هو الذي يدرك الطريق كله . والإنسان محجوب عن رؤية هذا الطريق . بل هو محجوب عن اللحظة التالية، ودونه ودونها ستر مسبل لا يباح لبشر أن يطلع وراءه. فأنى للإنسان أن يضع الخطة لقطع الطريق المجهول؟ انه اما الخبط والضلال والشرود واما العودة إلى المنهج المستمد من خالق الوجود. فليس لأحد من خلق الله أن يشرع غير ما شرعه الله وأذن به كائناً من كان فالله وحده هو الذي يشرع لعباده بما أنه سبحانه هو مبدع هذا الكون كله . ومدبره بالنواميس الكلية الكبرى التي اختارها له،والحياة البشرية ان هي إلا ترس صغير في عجلة هذا الكون الكبير. فينبغي أن يحكمها تشريع يتمشى مع تلك النواميس ولا يتحقق هذا إلا حين يشرع لها المحيط بتلك النواميس وكل من هو عدا الله فهو قاصر عن تلك الاحاطة بلا جدال فلا يؤتمن على التشريع لحياة البشر مع ذلك القصور، ومع وضوح هذه الحقيقة إلى حد البداهة فإن الكثيرين يجادلون فيها أو لا يقتنعون بها وهم يجرأون على استمداد التشريع من غير ما شرع الله زاعمين أنهم يختارون الخير لشعوبهم ويوائمون بين ظروفهم والتشريع الذي ينشئونه من عند أنفسهم كأنما هم أعلم من الله وأحكم من الله .(١)

فالله عز وجل خلق هذا الكون بتوازن عجيب وكل الأحداث في هذا الكون ضمن ذلك النطاق من التوازن، فإن كل نفس في هذا الكون وكل حركة وكل ورقة تسقط ﴿**وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين**﴾ الأنعام «٥٩» كل ذلك معلوم في علم الله محسوب في توازن هذا الكون، بهدف استمرار هذا الكون إلى أن يأتي يوم

---

(١) طريق الدعوة ص ١٥ .

القيامة والله أعلم، وكل ذلك ضمن العبودية لله **﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾** الذاريات «٥٦» وضمن قانون الابتلاء **﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه﴾** الإنسان «٢»، من الله عز وجل للإنسان.

فالإيمان بحكمة الله يلغي ذلك السؤال بصيغته الإعتراضية وبصورته التشكيكية من ذهن المسلم، ولكنه لا يمانع فيه كسؤال معرفة وفقه وعلم ضمن اليقين بعدل الله وحكمته. قال تعالى: **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾** النساء «٦٥».

«فإنه ـ أولاً: أقسم ـ سبحانه ـ بنفسه، مؤكداً لهذا القسم، بحرف النفي بأنهم لا يؤمنون. فنفى عنهم الإيمان الذي هو رأس مال صالحي عباد الله، حتى حصل لهم غاية هي تحكيم رسول الله ﷺ.

ثم لم يكتف بذلك حتى قال: (ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت) فضم إلى التحكيم أمراً آخر هو عدم وجود حرج في صدورهم. فلا يكون مجرد التحكيم والاذعان باللسان كافياً، حتى يكون من صميم القلب، عن رضاء خاطر واطمئنان خلد، وانثلاج قلب وطيبة نفس. ثم لم يكتف بهذا كله، بل ضم إليه قوله: (ويسلموا) أي يذعنوا وينقادوا ظاهراً وباطناً.

ثم لم يكتف بذلك، بل ضم إليه المصدر المؤكد، فقال: (تسليماً) فلا يثبت الإيمان لعبد، حتى يقع منه التحكيم، ثم لا يجد الحرج في صدره، بما قضى عليه ويسلم لحكمه وشرعه، تسليماً لا يخالطه رد، ولا تشوبه مخالفة.

وهذا يسير لمن وفقه الله باخلاص الدين، وانه لكبير على المنافقين. وقد ذهب هذا التحكيم من بين الأمة، منذ زمن طويل عريض، لقرب أشراط الساعة منها. [1].

إن الحكمة من وراء أي قدر من أقدار الله قد تبدو للإنسان في فترة قصيرة

(١) الدين الخالص ص ١٨/جـ٣.

أو بعيدة، وقد لا تتضح له أبداً، وعلى الإنسان المسلم أن يرضى بالقدر ويعمل بالتكليف على منهج الإسلام سواء عرف الحكمة أم لم يعرف، «فإن ثبت في نفسك بكشف أو باعتقاد جازم أنه لا فاعل إلا الله واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد والاحاد وأنه ليس وراء منتهي قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة، اتكل لا محالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت إلى غيره بوجه ولا إلى نفسه وحوله وقوته فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله».[1].

وهذه الحكمة قد لا تكون متعلقة بالإنسان نفسه فقد تكون متعلقة بمن حوله من الناس أو بالأمة بأسرها أو بالعالم كله أو بمخلوقات أخرى، وكل ذلك ضمن التوازن الكوني كله ﴿**وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين**﴾ الأنعام «٥٩» (عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل، لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان قد بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفّه ماء ثم أمسكه بفيه، حتى رقى فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له «قالوا: يا رسول الله إن لنا في البهائم أجراً؟ فقال «في كل كبد رطبة أجر» متفق عليه.

نعم إذا خفيت الحكمة وجب التسليم. فإن قال قائل: أي فائدة في خلق ما يؤذي؟ فالجواب أنه قد ثبتت حكمة الخالق، فإذا خفيت في بعض الأمور وجب التسليم.

ثمّ إنَّ المستحسنات في الجملة أنموذج ما أعدّ من الثواب. والمؤذيات أنموذج ما أعدّ من العقاب. وما خلق شيء يضرّ إلاّ وفيه منفعة[2].

---

(١) الإحياء ٢٥٤/ جـ٤ ـ الإمام الغزالي ـ احياء علوم الدين ـ الحلبي.
(٢) صيد الخاطر فصل ٢١٧.

إنَّ المسلم قد يمرض مرضاً يريد الله به مغفرة الذنوب أو منفعة للأطباء أو إشغالاً لمكان في مستشفى يحول دون أن يأخذه مريض آخر، وقد يموت ذلك الشخص الآخر، ثمّ يشفى الأوّل ليجد السرير شخص ثالث. وقد يموت الشخص الأوّل ليترك بيتاً هو مأوى لآخرين حسب إرادة الله وحكمته المتعلِّقة بالمكان والزمان والأشخاص والأحداث.

إنَّ أي حدث يؤخذ ويدرس بتوسُّع يجعلنا نعلم كم من المؤثِّرات أنتجته وكم من التأثيرات نتجت عنه وبهذه الدراسة العميقة تتّضح الحكم ويظهر التوازن المحكم والقدر المعلوم.

إنّنا يجب أن نعلم أنّ كل الأمراض الخلقي منها أو الطارىء هو لحكمة يعلمها الله وقد تكون الحكمة متعلِّقة بالشخص نفسه أو بأهله أو بأهل حيِّه أو مدينته أو غير ذلك، أو بمجموع ذلك كلّه، أو بما وراء ذلك ممّا لا نعلم، وعلينا أن نؤمن أنّ هناك حكمة من وراء كل حدث لأنّ الله عزَّ وجلَّ من صفاته أنَّه الحكيم، الخبير ومنكر حكمة الله كافر والعياذ بالله، ولنعلم إن كنّا مؤمنين حقاً أنَّ ما أراده الله لنا مع صبرنا خير ممَّا أردناه لأنفسنا.

(لماذا خلق الله الأمراض؟)

ب ـ الرد من الناحية العقلية...... أو

(حِكَمٌ في الأمراض)

١ ـ جزء من تمحيص المؤمنين وصولاً بهم إلى مراتب الخير.

٢ ـ الوصول بالقائمين على أمر المرضى من الأهل والعشيرة لأرفع المراتب.

٣ ـ ابتلاء للمجتمع.

٤ ـ مصدر رزق للأطباء والكوادر الطبية.

٥ ـ وفي المرض عظة وتذكر.

٦ ـ سبب في الموت الذي هو حق أكيد.

٧ ـ بيان قدرة الله على التعذيب والخلق واعطاء صورة مصغرة من ذلك.

٨ ـ إستثارة حب البحث في الإنسان وحثّه على الأخذ بالأسباب.

٩ ـ تعذيب الكفار والتعجيل لهم بذلك.

١٠ ـ تهيئة النفوس للإيمان.

١١ ـ وسيلة لربط المسلمين ببعضهم وزيادة الصلات بينهم.

هناك حكم كثيرة في الإبتلاء بالأمراض نذكر بعضها وبالله التوفيق:

١.ـ جـزء من تمحيص المؤمنين وصـولاً بهم إلى مراتب الخـير التي أرادها

الله لهم ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾ الأنبياء «٣٥» **﴿والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس﴾** البقرة «١٧٧» **﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾** البقرة «١٥٦» **﴿وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه﴾** يونس «١٢».

وقال تعالى: **﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن ﴾﴿وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن﴾** الفجر «١٥، ١٦».

وقال تعالى: **﴿أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون﴾ - قيل يفتنون بأمراض يختبرون بها -**[١].

يقول صاحب صيد الخاطر:

يبين إيمان المؤمن عند الابتلاء، فهو يبالغ في الدعاء ولا يرى أثراً للإجابة، ولا يتغير أمله ورجاؤه ولو قويت أسباب اليأس، لعلمه أن الحق أعلم بالمصالح.

أو لأن المراد منه الصبر أو الإيمان، فإنه لم يحكم عليه بذلك إلا وهو يريد من القلب التسليم لينظر كيف صبره، أو يريد كثرة اللجأ والدعاء.

فأما من يريد تعجيل الإجابة ويتذمر إن لم تتعجل، فذاك ضعيف الإيمان، يرى أن له حقاً في الإجابة، وكأنه يتقاضى أجرة عمله.

فإياك إياك أن تستطيل زمان البلاء، وتضجر من كثرة الدعاء، فإنك مبتلى بالبلاء، متعبد بالصبر والدعاء، ولا تيأس من روح الله وإن طال البلاء.[٢]

---

(١) الإحياء ص ٢٨٢- جـ ٤ - الإمام الغزالي - إحياء علوم الدين - الحلبي.
(٢) فصل ٢٢٧ص ٥٢٩، ٥٣٠ صيد الخاطر.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله، حتى يلقى الله وما عليه خطيئة» أخرجه مالك والترمذي.

ورواية مالك: «ما يزال المؤمن يضار في ولده وحامته حتى يلقى الله وليست له خطيئة» ومعنى حامته: خاصته وقرابته.[1].

ولما قال ﷺ «من أذهب الله كريمته لم يرض له ثواباً دون الجنة» قال فلقد كان من الأنصار من يتمنى العمى. والحديث مرفوع دون قوله فلقد كان في الانصار من يتمنى العمى.[2]

فمن مجموع هذه الآيات والأحاديث يتبين للإنسان المسلم أن مرضه هو تكفير لسيئاته التي يرتكبها، فإنه من أتى بها مخلصاً (أي الشهادتين)، وصدرت منه الذنوب، فإن عوقب عليها في الدنيا، فقد صار مطهراً، وإن لم يعاقب عليها وبقيت مستورة، فهو في مشيئة الله تعالى».[3]

إنه لا يشاك المسلم حتى الشوكة فيصبر عليها إلا ويؤجر من الله الكريم. وكما يقول الإمام الغزالي فلعله: «أن يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خائف منها عاجز عن تكفيرها فيرى المرض إذا طال تكفيراً».[4]

«وإذا كان في المرض، حبس عن الطغيان وركوب المعاصي، فأي خير يزيد عليه».[5]

عن محمد ابن اسحاق «عن رجل من أهل الشام يقال له أبو منظور عن عمه عن عامر الرام أخي الخضر قال: (إنا لبلادنا إذ رفعت لنا رايات وألوية فقلت ما هذا؟ قالوا: لواء رسول الله ﷺ. فأتيته وهو جالس تحت شجرة وقد اجتمع إليه أصحابه فجلست إليهم فذكر النبي ﷺ الاسقام والأمراض. فقال:

---

(١) حسن الاسوه ص ٣٩

(٢) الإحياء ٢٨١ ـ جـ ٤.

(٣) الدين الخالص. ١٣٩ـ جـ٣.

(٤) الإحياء ص ٢٨١ ـ جـ ٤ـ الحلبي ـ الإمام الغزالي ـ إحياء علوم الدين.

(٥) الإحياء ص ٢٨٢ ـ جـ ٤ـ

إن المؤمن إذا أصابه السقم ثم أعفاه الله عز وجل منه كان كفارة لما مضى من ذنوبه وموعظة له فيما يستقبل. وان المنافق إذا مرض ثم أعفى كان كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه فلم يدر لم عقلوه ولم أرسلوه[1].

«وفي الصحيحين من حديث الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه، حتى الشوكة يشاكها، وفيها ايضاً من حديث ابي سعيد وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (عاد رسول الله ﷺ محموماً فقال: أبشر فإن الله تعالى يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن لتكون حظه من النار). أخرجه رزين.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ) ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة). أخرجه مالك والترمذي.

وعن أنس رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ إذا أراد الله بعبد خيراً عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة). أخرجه الترمذي.

وعنه رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ: إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط) أخرجه الترمذي.

وعن جابر رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ : يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض) أخرجه الترمذي.

---

(١) تيسير الوصول ص ١٣٩ـ جـ ٢.

وعن أنس رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل، وعزتي وجلالي لا أخرج أحداً من الدنيا أريد أن أغفر له حتى أستوفي كل خطيئة في عنقه بسقم في بدنه وإقتار في رزقه). أخرجه رزين. «الإقتار» التضييق على الإنسان في رزقه.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ: إذا كان العبد يعمل عملاً صالحاً فشغله عنه مرض أو سفر كتب الله له كصالح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم). أخرجه أبو داود.

إن الله إذا أراد بعبد مؤمن خيراً وكانت حسناته لا تكفي لدخوله الجنة فإن الله عز وجل يبتليه حتى يخرج من الدنيا وما عليه ذنب فيدخل الجنة بإذن الله ورحمته، وأي كرم أكبر من هذا الكرم، وأي فضل أعظم من هذا الفضل بأن يهيء الله لعبادة الأسباب الموجبة للجنة ان قصرت عنها طاعاتهم، وما على الإنسان المسلم إلا الصبر على ذلك فمن الناس من لا يصبر على الطاعة ولكنه يصبر على البلاء.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مثل المؤمن مثل الزرع لا تزال الريح تميله، ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء، ومثل المنافق كشجرة الأرز لا تهتز حتى تستحصد). أخرجه البخاري والترمذي. الأرز «بسكون الراء» شجر الصنوبر.

وعن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما: (أنهما سمعا رسول الله ﷺ: يقول: ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه إلا كفر الله به من سيئاته). أخرجه الشيخان والترمذي. «النصب والوصب»: الوجع والمرض.

وعن جابر رضي الله عنه قال: (دخل رسول الله ﷺ على أم السائب رضي الله عنها فقال: مالك تزفزفين. فقالت: الحمى! لا بارك الله فيها فقال: لا تسبي الحمى فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد).

أخرجه مسلم. «تزفزفين» بالزاي المكررة وأصل الزفيف: الحركة الشديدة كانه سمع ما عرض لها من رعدة الحمى، ويروى بالراء المهملة، من رفرفة جناح الطائر وهي تحريكه عند الطيران فشبه حركة رعدتها به والاول اكثر، والله أعلم.

وفي صحيح مسلم من حديث عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: لا يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه خطيئته». [1]

«فالمرض يكفر الله به من خطيئة الإنسان والمؤمن يؤثر الآخرة على الأولى، والكافر يؤثر الأولى على الآخرة.

قال ﷺ: «إذا دخلت على مريض فمره يدعو لك فإن دعاء المريض كدعاء الملائكة». لأنه قريب من الله وثيق الصلة به شديد الحاجة إليه». [2]

وفي الجملة ينبغي للإنسان أن يعلم أنه لا سبيل إلى محبوباته خالصة، ففي كل جرعة غصص، وفي كل لقمة سجا:

وكم من يعشق الدنيا قديما ... ولكن لا سبيل إلى الوصال

وفي الحقيقة ما الصبر الا على الأقدار، وقل أن تجري الاقدار الا على خلاف مراد النفس. فالعاقل من دارى نفسه في الصبر بوعد الاجر، وتسهيل الامر، ليذهب زمان البلاء سالماً من شكوى ثم يستغيث بالله تعالى سائلاً العافية. فأما المتجلد فما عرف الله قط، نعوذ بالله من الجهل به، ونسأله عرفانه إنه كريم مجيب[3]

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: (قال النساء للنبي صلّى الله عليه وسلّم: يا رسول الله غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك فوعدهن يوماً، فوعظهنّ وأمرهنّ، وكان فيما قال لهنّ: ما منكنّ امرأة تقدم ثلاثة من ولدها

(١) عدة الصابرين ص ٩٥.
(٢) الاعجاز الطبي في القرآن ص ١٤٧.
٣ ـ صيد الخاطر فصل ١٦١ ـ ص ٣٦٠

الأكانوا لها حجاباً من النار، فقالت امرأة: يا رسول الله، وإثنين؟ قال: وإثنين). أخرجه الشيخان.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسّه النار إلاّ تحلة القسم). أخرجه الستّة إلاّ أبا داود. وفي أخرى للترمذي: «وإثنان وواحد». ومعنى «تحلة القسم» أي لا تمسّه النار إلاّ مسّة يسيرة مثل تحليل قسم الحالف[1].

لقد أصيب أيوب عليه السلام في بدنه وماله وولده فنال رضاء الله عزَّ وجلَّ بصبره وبيقينه بمغفرة الله وفضله وعدله وحكمته.

﴿**وأيوب إذ نادى ربّه أنّي مسّني الضرّ وأنت أرحم الراحمين**﴾ الأنبياء «٨٣»

- يقول رسول الله صلى الله عليه وسلّم عن نفسه والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً.

عن مصعب بن سعد عن أبيه رضي الله عنه قال: (قلت يا رسول الله: أي الناس أشدّ بلاءً؟ قال: الأنبياء، ثم الأمثل، فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان شديداً في دينه صلباً اشتدَّ بلاؤه، وإن كان في دينه رقّة إبتلاه الله على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة). أخرجه الترمذي.

يقال: «جاء القوم الأمثل فالأمثل» أي جاء أشرافهم وأجلّهم وخيرهم واحداً بعد واحدٍ في الرتبة والمنزلة[2].

وهذا رسولنا صلوات الله وسلامه عليه كان يلاقي في مرضه أكثر مما نلاقي. (في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهو يوعك وعكاً شديداً. قال: فقلت: يا

---

(١) تيسير الوصول من ص ٣٩٩ حتى ص ٤٠١. حـ ٣.

(٢) تيسير الوصول من ص ٥٨ حـ ٣.

رسول الله إنَّك لتوعك وعكاً شديداً. قال: أجل، إنّي لأوعك كما يوعك رجلان منكم. قلت: إن لك لأجرين. قال: نعم، والذي نفسي بيده ما على الأرض مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلّا حطَّ الله عنه به خطاياه كما تحطُّ الشجرة اليابسة ورقها[1].

ولكنَّه صلى الله عليه وسلم لعلمه بعطاء الله وثوابه لم يتذمّر ولم يتأفّف ولكنّه كان راضياً محتسباً يعلم أنّ قدر الله محكم فالرضى من جملة ثمرات المعرفة، فإذا عرفته رضيت بقضائه، وقد يجري في ضمن القضاء مرارات يجد بعض طعمها الراضي. أمّا العارف فتقل عنده المرارة، لقوّة حلاوة المعرفة. فإذا ترقّى بالمعرفة إلى المحبة، صارت مرارة الأقدار، حلاوة، كما قال القائل:

عذابه فيك عذب ... وبعده فيك قرب
وأنت عندي كروحي ... بل أنت منها أحبّ
حسبي من الحبّ أنّي ... لما تحبّ أحبّ

وقال بعض المحبّين في هذا المعنى:

ويقبح من سواك الفعل عندي ... فتفعله فيحسن منك ذاكا

فأمّا ما يصدر من أقضيته المجرّدة التي لاكسب لك فيها، فكن راضياً بها،[2]

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: (قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله تعالى، ومن شقاوة ابن آدم تركه إستخارة الله تعالى: ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله تعالى).

لقد ابتلى الله عزَّ وجلَّ رسوله صلوات الله وسلامه عليه رغم أنَّه أحبّ الناس إلى الله جلَّ وعلا، وهذا ممَّا يعزّينا في أنفسنا ويعيننا على الصبر، وهؤلاء

---

(١) عدة الصابرين «٩٥».
(٢) صيد الخاطر فصل «٥٥».

الصحابة رضوان الله عليهم كانوا لا يتذمّرون من البلاء، بل يعدّونه نعمة وتفكير سيئات.

في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: يقول الله عزَّ وجلَّ: ما لعبدي المؤمن جزاءً إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثمّ احتسبه إلاّ الجنّة. وفي صحيحه أيضاً عن عطاء ابن أبي رباح قال: قال لي ابن عبّاس: ألا أريك امرأة من أهل الجنّة، قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي صلّى الله عليه وسلّم فقالت: يا رسول الله اني أصرع واني أتكشّف فادع الله لي. قال: إن شئت صبرت ولك الجنّة، وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك، فقالت: أصبر. وقالت: اني أتكشّف فادع الله أن لا أتكشّف فدعا لها.

وفي الموطأ من حديث عطاء بن يسار أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال إذا مرض العبد بعث إليه ملكين، فقال: أنظر ماذا يقول لعواده، فإن هو إذ جاؤوه حمد الله وأثنى عليه، فيرفعا ذلك إلى الله وهو أعلم، فيقول: انَّ لعبدي على ان توفيته أن أدخله الجنّة، وإن أنا شفيته أن أبدله لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه وأن أكفِّر عن سيئاته.

وفي الصحيحين أيضاً من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت الوجع أشدّ منه على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

وفي بعض المساند مرفوعاً انَّ الرجل لتكون له الدرجة عند الله لا يبلغها بعمل حتى يبتلى ببلاء جسمه فيبلغها بذلك.

ويروى عن عائشة رضي الله عنها، عنه صلّى الله عليه وسلّم قال: إذا اشتكى المؤمن أخلصه ذلك من الذنوب كما يخلص الكير الخبث من الحديد.

وفي الموطأ من حديث عبد الرحمن بن القاسم قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ليعز المسلمين في مصائبهم المصيبة بي.

وفي الصحيح من حديث أسامة بن زيد قال: أرسلت إبنة النبيّ صلّى الله

عليه وسلّم إليه أنَّ أبناً لي إحتضر فأتنا، فأرسل يقريها السلام ويقول. انَّ لله ما أخذ وله ما أعطى وكلّ شيء عنده بأجل مسمّى، فلتصبر ولتحتسب. فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها، فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال، فرفع الصبي إلى رسول الله فأقعده في حجره ونفسه تقعقع كأنَّها في شنّة، ففاضت عيناه، فقال سعد: يا رسول الله ما هذا؟ قال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب من يشاء من عباده. وإنَّما يرحم الله من عباده الرحماء.

وفي سنن النسائي عن ابن عباس قال: إحتضرت إبنة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم صغيرة فأخذها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وضمَّها إلى صدره ثمَّ وضع يده عليها وهي بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فبكت أمّ أيمن، فقلت لها: أتبكين، ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم عندك؟ فقالت: مالي لا أبكي ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم يبكي. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: اني لست أبكي ولكنَّها رحمة. ثمَّ قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: المؤمن بخير على كل حال تنزع نفسه من بين جنبيه وهو يحمد الله عزَّ وجلَّ.

وفي صحيح البخارى من حديث أنس رضي الله عنه قال: إشتكى إبن لأبي طلحة فمات وأبو طلحة خارج، فلمّا رأت إمرأته أنَّه قد مات هيَّأت شيئاً وسجته في جانب البيت، فلمّا جاء أبو طلحة قال: كيف الغلام؟ قالت: قد هدأت نفسه وأرجو أن يكون قد استراح. فظنَّ أبو طلحة أنَّها صادقة. قال: فبات معها فلمَّا أصبح اغتسل، فلمَّا أراد أن يخرج أعلمته أنَّه قد مات. فصلّى مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثمّ أخبره ما كان منهما، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: لعلَّ الله أن يبارك لكما في ليلتكما. قال ابن عيينة: فقال رجل من الأنصار: فرأيت له تسعة أولاد كلّهم قد قرأوا القرآن.[1]

إنَّ على المسلم إذا أصيب في عضو من جسمه أن يحمد الله على أن ترك له بقيّة الأعضاء وعليه بالصبر والأخذ بالأسباب للخروج من المرض أو المصيبة

---

(١) عدة الصابرين ٩٩.

بكلِّ الوسائل الممكنة فالوسائل من قدر الله (هي من قدر الله)[1]. من حديث أبي خزامه رواه الترمذي وابن ماجه.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سئل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن الطاعون فقال: كان عذاباً يبعثه الله تعالى على من كان قبلكم فجعله الله رحمة للمؤمنين، ما من عبد يكون في بلدٍ فيه الطاعون فيمكث فيه لا يخرج صابراً محتسباً يعلم أنَّه لا يصيبه إلّا ما كتب الله له الا كان له مثل أجر شهيد. أخرجه البخاري.

عن أسامة رضي الله عنه قال: (قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض، وأنتم بها فلا تخرجوا منها). أخرجه الثلاثة والترمذي.[2]

(إنَّ التداوي والعلاج كلّ ذلك بتدبير مسبّب الأسباب وتسخيره وترتيبه بحكم حكمته وكمال قدرته فلا يضرّ المتوكِّل إستعماله مع النظر إلى مسبِّب الأسباب دون الطبيب والدواء).[3]

إنَّ مباشرة الأسباب والتداوي على وجه لا كراهة فيه غير قادح في التوَكُّل، فلا يكون تركه من هذا الوادي،

لما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «ما أنزل الله من داء إلّا أنزل له شفاء».

ويزيده إيضاحاً ما روى عن أسامة بن شريك قال: «كنت عند النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فجاءت الأعراب فقالوا: يا رسول الله أنتداوى؟ قال: نعم يا عباد الله تداووا، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يضع داءً إلّا ووضع له شفاءً، غير داءٍ واحدٍ قالوا: وما هو؟ قال: «الهرم» رواه أحمد.

---

(١) الأحياء ص ٢٧٦ ـ حـ ٤.
(٢) تيسير الوصول ـ ١٨٢ ـ حـ ٣.
(٣) الأحياء ٢٧٨ ـ حـ ٤.

قال ابن القيم رحمه الله: «هذه الأحاديث تضمّنت إثبات الأسباب والمسبِّبات وإبطال قول من أنكرها. والأمر بالتداوي لا ينافي التوكُّل كما لا ينافي دفع ألم الجوع والعطش، والحرّ والبرد بأضدادها[1]».

وعندما سئل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن الأدوية: «هل ترد من قدر الله شيئاً؟ قال: هي من قدر الله» يعني أنَّ الله كما قدَّر الداء قدَّر زواله أيضاً بالدواء، فإن شاء وقدر أن يشفى بها ويوقى، يسّره، وإن لم يقدر، ولم يشأ، لم يكن.

فالتقدير، لاينافي الأسباب والشرائط، بل هي داخلة فيه، وهو شامل لها محيط بها، لا يخرج شيء من إحاطته «رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه».

والحديث يدلّ على جواز الرقى، والدواء، والتقاة. وأنَّها يحلّ بها الإلتجاء إذا كانت من الكتاب، أو السنَّة، أو الدعاء المأثور، أو باللسان العربي المفهوم معناه، لا باللسان العجمي، ولا بما لا يفهم مبناه ولا معناه، فإنَّ فيه خوف الشرك والكفر[2].

وإن المسلم إذا لم يأخذ بالأسباب فهو مقصر قال تعالى: **﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾** الشعراء ٨٠ يبين لنا القرآن أن الشفاء بإرادة الله عز وجل، إنما جعل الطب وسيلة لتخفيف الآلام وسبباً للشفاء إن كان مقدراً من عند الله، لأن الحق ربط لنا الأسباب بالمسببات فحين أمر مريم ابنة عمران أن تهز جذع النخلة لتساقط عليها رطباً جنياً، وعندما بعث بالبراق مع أمين السماء ليركبه أمين الأرض ليلة الاسراء والمعراج، كان كل ذلك ممكناً تمامه بلا وساطة وبدون أي وسيلة، وأسقطت النخلة رطبها من نفسها وانتقل محمد ليلة الأسراء والمعراج عبر الأثير بلا عنت وبلا قيود. [3]

قال رسول الله ﷺ: (عجباً لأمر المؤمن، ان أمره كله خير. وليس ذاك

---

(١) الدين الخالص - ١٢٦/حـ ١.

(٢) الدين الخالص - ٢٠٢/حـ ٣.

(٣) الأعجاز الطبي في القرآن ص ١٤٤.

لأحد إلا للمؤمن. ان أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وان أصابته ضراء صبر فكان خيراً له (رواه مسلم).

إن الشدة بعد الرخاء، والرخاء بعد الشدة هما اللذان يكشفان عن معادن النفوس وطبائع القلوب. ودرجة الغبش فيها والصفاء. ودرجة الهلع فيها والصبر. ودرجة الثقة فيها بالله أو القنوط ودرجة الاستسلام فيها لقدر الله أو البرم به والجموح. [1].

وعلى ذلك فالمرض بمقياس الآخرة نعمة ان صبر صاحبه واحتسبه عند الله، «وهكذا» يتكشف أن الابتلاء من الله نعمة لا تصيب إلا من يريد الله به الخير فإذا أصابت أولياءه فإنما تصيبهم لخير يريده الله لهم... ولو وقع الابتلاء مترتباً على تصرفات هؤلاء الأولياء فإنما هناك الحكمة المغيبة والتدبير اللطيف وفضل الله على أوليائه المؤمنين... وهكذا تستقر القلوب وتطمئن النفوس وتستقر الحقائق الأصلية البسيطة في التصور الإسلامي الواضح المستقيم. [2]

ولكننا مأمورون بأن نحاول الخروج من ذلك البلاء الدنيوي قدر استطاعتنا شاكرين الله، حامدين، صابرين، ثم ان غريزة حب البقاء تدفعنا لطلب الدواء، اما إن لم نصبر فإن المرض يكون والعياذ بالله نقمة وعذاباً.

«في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ما أعطى أحد عطاء خير وأوسع من الصبر.

وفي بعض المسانيد عنه ﷺ أنه قال: قال الله عز وجل: «إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً أو أنشر له ديواناً».

ويذكر عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: من وعك

---

(١) طريق الدعوة ٢٤١.

(٢) طريق الدعوة ٣٦.

ليلة فصبر ورضي عنه الله تعالى خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. وقال الحسن: إنه ليكفر عن العبد خطاياه كلها بحمى ليلة».

«وقال أبو هريرة رضي الله عنه: إذا مرض العبد المسلم نودي على صاحب اليمين أن أجر على عبدي صالح ما كان يعمل وهو صحيح، ويقال لصاحب الشمال أقصر عن عبدي ما دام في وثاقي. فقال رجل عند أبي هريرة: ياليتني لا أزال ضاجعاً. فقال أبو هريرة: كره العبد الخطايا. ذكره ابن أبي الدنيا، وذكر أيضاً عن هلال بن بساق قال: كنا قعوداً عند عمار بن ياسر فذكروا الأوجاع فقال أعرابي ما اشتكيت قط، فقال عمار: ما أنت منا، أو لست منا، ان المسلم يبتلي ببلاء فتحط عنه ذنوبه كما يحط الورق من الشجر، وان الكافر، أو قال الفاجر، يبتلي ببلية فمثله مثل البعير ان أطلق لم يدر لم أطلق وان عقل لم يدر لم عقل. وذكر عن أبي معمر الأزدي قال: كنا إذا سمعنا من ابن مسعود شيئاً نكرهه سكتنا حتى يفسره لنا، فقال لنا ذات يوم: الا ان السقم لا يكتب له أجر. فساءنا ذلك وكبر علينا فقال: ولكن يكفر به الخطيئة، فسرنا ذلك وأعجبنا. وهذا من كمال علمه وفقهه رضي الله عنه.

وفي المسند والنسائي من حديث أبي سعيد قال: قال رجل: يارسول الله، أرأيت هذه الأمراض التي تصيبنا ما لنا بها. قال: كفارات. فقال أبي بن كعب: يارسول الله وإن قلّت، قال شوكة فما فوقها قال: فدعا أبي بن كعب على نفسه عند ذلك أن لا يفارقه الوعك حتى يموت، ولا يشغله عن حج ولا عمرة ولاجهاد في سبيل الله وصلاة مكتوبة في جماعة. قال: فما مس رجل جلده بعدها إلا وجد حرها حتى مات.

وقالت أم سلمة عن النبي ﷺ: ما ابتلى الله عبداً ببلاء وهو على طريق يكرهها إلا جعل الله ذلك البلاء كفارة وطهوراً. وقال عطية بن قيس: مرض كعب فعاده رهط من أهل دمشق فقالوا: كيف تجدك ياأباسحق؟ قال: بخير، جسد أخذ بذنبه إن شاء ربه عذبه وإن شاء رحمه، وان بعثه بعثه خلقاً جديداً لا ذنب له.

وقال سعيد بن وهب: دخلنا مع سلمان الفارسي على رجل من كنده يعوده فقال سلمان: إن المسلم يبتلى فيكون كفارة لما مضى ومستعتباً في ما بقى، وان الكافر يبتلى فمثله فمثله كمثل البعير أطلق فلم يدر لم أطلق وعقل فلم يدر لم عقل.

وأما «قول عائشة: وارأساه، فإن هذا ما قيل على وجه الاخبار لا على وجه شكوى الرب تعالى إلى العواد، فإذا حمد المريض الله ثم أخبر بعلته لم يكن شكوى منه، وان أخبر بها تبرماً وتسخطاً كان شكوى منه، فالكلمة الواحدة قد يثاب عليها وقد يعاقب بالنية والقصد».

قال رسول الله ﷺ: «لا ترد دعوة المريض حتى يبرأ».

وذكر ابن أبي الدنيا عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ جالساً فتبسم فقلنا: يارسول الله مم تبسمت؟ قال: تعجباً للمؤمن من جزعه من السقم، ولو كان يعلم ماله في السقم أحب أن يكون سقيماً حتى يلقى الله. ثم تبسم ثانية ورفع رأسه إلى السماء، قلنا: يارسول الله مم تبسمت ورفعت رأسك إلى السماء؟ قال عجبت من ملكين نزلا من السماء يلتمسان عبداً مؤمناً كان في مصلاه يصلي فلا يجداه، فعرجا إلى الله فقالا: يارب، عبدك فلان المؤمن كنا نكتب له من العمل في يوم وليلة كذا وكذا، فوجدنا، قد حبسته في حبالك فلم نكتب له شيئاً من عمله، فقال: اكتبوا لعبدي عمله الذي كان يعمله في يومه وليلته ولا تنقصوا منه شيئاً، فعلي أجر ما حبسته وله أجر ما كان يعمل. ويذكر عنه ﷺ: من وعك ليلة فصبر ورضي بها عن الله عز وجل خرج من ذنوبه كهيئة يوم ولدته أمه.

ومن مراسيل يحيي بن كثير قال: فقد رسول الله ﷺ سلمان فسأل عنه فأخبر أنه عليل، فأتاه يعوده فقال: شفى الله سقمك وعظم أجرك وغفر ذنبك ورزقك العافية في دينك وجسمك إلى منتهى أجلك. إن لك من وجعك خلالاً ثلاثاً: أما الأولى فتذكرة من ربك يذكرك بها، وأما الثانية فتمحيص لما سلف من ذنوبك. وأما الثالثة فادع بما شئت، فإن المبتلى مجاب الدعوة.[1]

---

(١) عدة الصابرين ١٠٥ + ١٠٧ + ١٠٨

وقال وهب بن منبه: لا يكون الرجل فقيهاً كـامل الفقـه حتى يعد البـلاء نعمـة ويعد الـرخاء مصيبـة. وذلك أن صـاحب البلاء ينتـظر الرخـاء وصاحب الرخاء ينتظر البلاء. [1]

قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع عن مـالك بن مغـول عن أبي السفر قـال: مرض أبو بكر رضي الله عنه فعادوه فقالوا: ألا ندعـو لك الـطبيب؟ فقال: قـد رآني الطبيب. قالوا: فأي شيء قال لك؟ قال: إني فعال لما أريد.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية. حدثنا الأعمش عن مجاهد قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وجدنا خير عيشنا بالصبر. وقال أيضـاً: أفضل عيش أدركناه بالصبر ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريماً.

وقـال علي بن أبي طـالب رضي الله عنه: ألا إن الصـبر من الإيمان بمنـزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس بار الجسد. ثم رفع صوته فقال: ألا انه لا إيمان لمن لا صبر له. وقال: الصبر مطية لا تكبو.

وقال الحسن: الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده. [2]

وقال عمر بن عبد العزيز: ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاضة مكانها الصبر إلا كان ما عوضه خيراً مما أنتزعه.

وقـال ميمون بن مهـران: ما نـال أحد شيئـاً من ختم الخير فـما دونـه إلا الصبر.

وقال سليمان بن القاسم: كل عمَل يعرف ثوابه إلا الصبر.

قال الله تعالى: ﴿إنما يوفى الصـابرون أجـرهم بغير حسـاب﴾ قال: كالماء المنهمر.

(١) عدة الصابرين ـ ١٠٩.
(٢) عدة الصابرين ـ ١١١.

وكان بعض العارفين في جيبه رقعة يخرجها كل وقت ينظر فيها. وفيها: «واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا».

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو كان الصبر والشكر بعيرين لم أبال أيهما ركبت.

وكان محمد بن شبرمة إذا نزل به بلاء قال: سحابة صيف ثم تنقشع.

وقال سفيان بن عيينة في قوله تعالى «وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا» لما أخذوا برأس الأمر جعلناهم رؤوساً. وقيل للأحنف بن قيس: ما الحلم؟ قال: أن تصبر على ما تكره قليلاً.

وقال وهب: مكتوب في الحكمة: قصر السفه النصب، وقصر الحلم الراحة، وقصر الصبر الظفر. قصر الشيء وقصاراه: غايته وثمرته.[1]

وقال عبدالله بن المبارك: أخبرنا عبدالله بن هليعة عن عطاء بن دينار أن سعيد بن جبير قال: الصبر اعتراف العبدلله بما أصابه منه واحتسابه عند الله ورجاء ثوابه، وقد يجزع الرجل وهو يتجلد لا يرى منه إلا الصبر. فقوله: اعتراف العبدلله بما أصاب منه، كأنه تفسير لقوله: إنا لله. فيعترف أنه ملك لله يتصرف فيه مالكه بما يريد. وقوله: راجياً به ما عند الله، كأنه تفسير لقوله: وإنا إليه راجعون. أي نرد إليه فيجزينا على صبرنا ولا يضيع أجر المصيبة. وقوله: وقد يجزع الرجل وهو يتجلد، أي ليس الصبر بالتجلد، وإنما هو حبس القلب عن التسخط على المقدور ورد اللسان عن الشكوى، فمن تجلد وقلبه ساخط على القدر فليس بصابر.[2]

وقال عمر بن دينار: قال عبيد بن عمير: ليس الجزع أن تدمع العين ويحزن القلب. ولكن الجزع القول السيء والظن السيء.[3].

---

(١) عدة الصابرين ـ ١١١.

(٢) عدة الصابرين ـ ١١٤ـ ١١٥.

(٣) عدة الصابرين ـ ١١٦.

إن المرض اختبار لمدى صبر الإنسان المسلم على ابتلاء ربه فعليه أن يسعد لأن الله اختاره للابتلاء وعليه الصبر لعله يفوز عند الله ذلك الفوز العظيم. ﴿فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز﴾ آل عمران «١٨٥».

وأصل هذه الكلمة هو المنع والحبس. فالصبر حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود وشق الثياب ونحوهما، ويقال صبر يصبر صبراً وصبر نفسه قال تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم﴾ [(١)].

فالصبر وإن كان شاقاً كريهاً على النفوس فتحصيله ممكن وهو يتركب من مفردين. العلم والعمل، فمنهما تركب جميع الأدوية التي تداوي بها القلوب والأبدان، فلا بد من جزء علمي وجزء عملي.

والصبر نوعان: اختياري واضطراري، والاختياري أكمل من الاضطراري فإن الاضطراري يشترك فيه الناس ويتأتى ممن لا يتأتى منه الصبر الاختياري ولذلك كان صبر يوسف الصديق ﷺ عن مطاوعة امرأة العزيز وصبره على ما ناله في ذلك من الحبس والمكروه أعظم من صبره على ما ناله من أخوته لما ألقوه في الجب وفرقوا بينه وبين أبيه وباعوه بيع العبد.

والصبر الواجب ثلاثة أنواع: أحدها الصبر على المحرمات. والثاني الصبر على أداء الواجبات. والثالث، الصبر على المصائب التي لاصنع للعبد فيها كالأمراض والفقر وغيرها.

وأما الصبر المندوب فهو الصبر على المكروهات، والصبر على المستحبات والصبر على مقابلة الجاني بمثل فعله.

وأما المحظور فأنواع: أحدها الصبر على الطعام والشراب حتى يموت، وكذلك الصبر على الميتة والدم ولحم الخنزير عند المخمصة حرام إذا خاف بتركه

(١) عدة الصابرين ـ ١٣.

الموت، قال طاوس وبعده الإمام أحمد: «من أضطر إلى أكل الميتة والدم فلم يأكل فمات دخل النار».

٢ ـ الوصول بالقائمين على أمر المرضى من الأهل والعشيرة لأرفع المراتب، فالإبتلاء ليس للمريض فحسب، ولكنَّه كذلك للأهل والعشيرة ومن يقومون برعايته، وكذلك الأجر، فالأم أو الأخت أو البنت أو العائلة أو أي أحد كان له مسؤولية في رعاية ذلك المريض هو شريك في الإبتلاء والأجر إن صبر وشكر.

إنَّ أهل المريض يتحمّلون من أجله الكثير من التكاليف المادية والمعنوية والنفسية والجسدية، فهم يبذلون الوقت الكثير في مساعدته على التنقل من مكان لآخر ويتحمّلون الكثير من جراء القيام بالعناية به في تنظيفه، ويتعاملون في ذلك مع الفضلات الناشئة عن المرض من بول وبراز وقيح ودم وإفرازات قد تكون رائحتها أحياناً كفيلة بإبتعاد الجميع عنه إلاّ أولئك النفر من أصحاب القلوب الكبيرة الذين يزيد الإسلام فيهم إحسان العشرة وطيب القلب، والذين إن إحتسبوا أجرهم عند الله فإنَّه سيجزيهم الجزاء العظيم في الدنيا إن شاء الله وفي الآخرة وهي الأهم.

وإنَّ هذه النوعيات لتعطي دروساً للمجتمعات المادية الحديثة التي يرى الإنسان فيها من القسوة على الأبناء والبنات والآباء والأخوة والأخوات والأمهات ما تتقطّع له قلوب أصحاب الضمائر، فهذه أم تضرب رأس ابنها في الحائط حتى ينام ثمّ تخرج هي لقضاء ليلتها مع صديقها، وأخرى تضع إبنها في أحد الأدراج ـ ليبقى هناك حتى يتعفن مخافة أن يزعج صديقها، وهذا والد يمارس الجنس مع إبنته بعد أن ماتت فيه رحمة الأبوّة، وكم من الأطفال مات صعقاً بالكهرباء، وكم من الأبناء تركوا آباءهم وأمهاتهم في ملاجيء للعجزة بعيداً عن رحمة إبن أو عطف إبنة، إنَّها قصص كثيرة يقف الإنسان أمامها عاجزاً عن الحكم ﴿**إن هم إلاّ كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً**﴾ الفرقان «٤٤».

لقد سار الغرب وأتباعه في مجتمعاتنا وراء الشهوة والأهواء حتى أله الناس الشهوة ﴿**أرأيت من اتّخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً**﴾ الفرقان «٤٣»

وعبدوا المال وأصبحت القيم الربّانية لا علاقة لها بحياتهم لا من قريب ولا من بعيد.

إنَّ كثيراً ممّن يدعون التمسّك بالقيم لا يتمسّكون في كثير من الأحيان إلاّ بما يوافق هواهم ومصالحهم المادية، فهذا يزن بقيم القرية وآخر بقيم العشيرة والقبيلة وثالث بقيمة القانون ورابع بقيمة الحضارة أو المدنية أو الإنسانية أو غيره، أو مزيجاً من ذلك في بعض الأحيان تبعاً للمصلحة.

إنَّ القيم التي يجب أن يتمسّك بها الناس هي قيم خالق البشر **﴿ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾** المائدة «٥٠» فهو لا ينحاز إلى أحد.

إنَّ قيم القرآن هي القيم الحقيقية المحفوظة إلى الأبد لأنَّ الله تعهد بحفظها **﴿انّا نحن نزلنا الذكر وانّا له لحافظون﴾** الحجر «٩»، وتعهد ببقاء من يحملونها على مرّ الزمان (عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم «لا تزال طائفة من أمّتي على الحقّ - ظاهرين لعدوّهم قاهرين لا يضرّهم من جابهم، ولا ما أصابهم من الأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك» قالوا يا رسول الله: وأين هم؟ قال ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس[1].

٣ - إبتلاء للمجتمع:

والمرض ابتلاء للمجتمع كلّه وعلى المجتمع أن يبادر لتحمّل مسؤوليته أمام الله. فالابتلاء ألوان. إبتلاء للصبر. وآبتلاء للشكر، وآبتلاء للأجر، وآبتلاء للتوجيه، وآبتلاء للتأديب، وآبتلاء للتمحيص، وآبتلاء للتقويم (إنَّ في ذلك لآيات وإن كنّا لمبتلين) **﴿ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة﴾**[2].

وترجمة ذلك، بأن يتكافل أفراده ويترابطوا ويتعاضدوا، وعندها لا يحسد الفقير الغني ولو كان محتاجاً ويحنو الغني على الفقير والمريض دون مسألة، حنوّاً ملؤه الودّ والعطف، وعلى المجتمع أن يعمل على تحسين أوضاع الذين إبتلاهم

---

(١) صحيح البخارى ٢/٤٨ - حـ ٢ ص ٤٨ وهذا لفظه.

(٢) طريق الدعوة - ص ٢٤٠.

الله بالمرض وتهيئة أحسن الظروف لهم، فيواسيهم مادياً ومعنوياً ويعطيهم من وقته وجهده ودعمه وطاقاته الكثير حتى يلقوا الله وهم صابرين وبذلك ينال الطرفان الأجر، المرضى بصبرهم على مرضهم وأفراد المجتمع بصبرهم على مرضاهم.

إنَّ المرض اختبار حقيقي لمقدار الخير في المجتمع والأمّة والدولة، فبقدر الرعاية والعناية التي يجدها المرضى، يكون العطف والرحمة والإنسانية في المجتمع، أمّا من يدّعي العناية بالمرضى وهو يقصد من وراء ذلك كسب آخر فإنَّ أعماله ستكون قيمتها بحجم هدفها وحسب.

وبالعناية بالمرضى تبرز النوعيات الجيدة من الناس، الحريصة على مصالح الأمّة، التي تحب لها الخير وتتألّم لآلامها، ومع الوقت يصبح هؤلاء أعلاماً يقتدى بهم وأئمّة يسير الناس من خلفهم، وبذلك يكونون نواة لإنتشار الخير وعمومه في الأمّة، وانَّ الله عزَّ وجلَّ ليكرم هؤلاء الناس بقدر بذلهم وإخلاصهم في نواياهم.

أمّا الجمعيات الكثيرة المنتشرة بين الناس لتحقيق مقاصد أخرى غير العناية بالمريض أو بدينه، والتي لا تخشى الله في المرضى، فهذه ليس لها إلّا الخسران، وقد يجزيهم الله بها في الدنيا ولكن لا نصيب لهم في الآخرة. **﴿مثل الذين كفروا بربِّهم أعمالهم كرماد اشتدّت به الريح في يومٍ عاصفٍ لايقدرون ممّا كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد﴾** إبراهيم «١٨» **﴿لايقدرون على شيء ممّا كسبوا﴾** البقرة «٢٦٤».

٤ ـ مصدر رزق للأطباء والكوادر الطبّية:

لقد جعل الله المرض سبباً لمعيشة كثير من الأطبّاء الذين يعتمدون في أرزاقهم على هذه المهنة التي تخفِّف من آلام الناس وتزيل بإذن الله أوجاعهم. ففي قوله تعالى: **﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾** رجوع أسباب العلاج إلى الله سبحانه وتعالى برمته وتفويض الأمر إليه كاملاً.[1]

(١) الأعجاز الطبّي في القرآن ـ ص ٢٠.

ولو نظرنا لعدد الأطبـاء الذين عـاشوا ويعيشـون معتمدين في كسب رزقهم على هذا المصدر، لوجدنا أنَّهم ولا شكَّ كثير.

ومـع الأطبّاء يـرزق الكثيرون ممّن يعملون في شركـات الأدويـة ومحـلات العـطارة والصيادلـة ومعـامـل التحليـل والمستشفيـات وهيئـات التمـريض ومن يساعدهم من عاملين.

إنَّها حكمة الله عزَّ وجلَّ أن يجعل رزق أنـاس في آلام غيرهم وقـد تكفّل الله بالرزق للجميع ﴿**وفي السماء رزقكم ومـا توعـدون**﴾ الذاريـات «٢٢». وعلى الأطبّاء وكل العاملين في هذا المجال أن يتّقوا الله في المرضى، فلا يعتبروهـا مجـرد وسيلة للكسب خاصـةً الفاحش منـه، ولكن أمانـة ورسالـة قبـل أن تكـون مصدر رزق.

إنَّها مصدر لكسب الثواب مع الرزق، فـالرزق لن يـأتي منه إلّا مـا أراده الله. وعليهم رحمـة المرضى وتخفيف آلامهم قـدر إستطاعتهم وهـذا هـو مفهـوم الإنسانية، وهو من الأخلاق الأساسية المهنيـة. إنّ عليهم إبتغاء الثـواب والأجر لعلّ الله أن يبارك في جهودهم ويجعل على أيديهم الشفاء، وحتى لايكون الأجـر الدنيوي هو الأجر الوحيد الذي يحصلونه فتلك خسارة وضياع.

وإنَّ عليهم مراعاة حـال المريض وأهله المـادية قـدر إستطاعتهم ﴿**من كـان يريد العاجلة عجلنا له فيها مـا نشاء لمن نـريد**﴾ الأسراء «١٨» ﴿**والله يـرزق من يشاء بغير حساب**﴾ البقرة «٢١٢».

٥ ـ وفي المرض عظة وتذكرة:

إنَّ الله عزَّ وجلَّ قـد جعل من الأمـراض تذكـرة للناس ومـوعظة، ليتعظ الصحيح ويتذكّر الغافل ويرجع الضائع، فإنَّه لايعلم قيمة الصحـة إلّا من عانى من المـرض وآلامه. فـإن من يرى مـريضاً أو يمـرض، إنه عنـد ذلك يحسّ بـآلام الآخـرين وبضعفـه وبعـدم الإطمئنـان عـلى نفسـه فقـد يصيبـه مـرض عضال

لايجد منه مخرجاً، فيلجأ لمالك الأمر يرجوه الرحمة والعافية. «رأيت المعافي لا يعرف قدر العافية إلّا في المرض، كما لايعرف شكر الإطلاق إلّا في الحبس». [1]
وإنَّ كلّ الناس يمرضون، وكلّهم ولا شكّ يعلمون قيمة الصّحة. عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» رواه البخاري.

إذ لولا الليل لما عرف قدر النهار ولولا المرض لما تنعّم الأصّحاء بالصّحة ولولا النار لما عرف أهل الجنّة قدر النعمة وكما أنَّ فداء أرواح الإنس بأرواح البهائم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل فكذلك تفخيم النعم على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على أهل النيران وفداء أهل الإيمان بأهل الكفران عين العدل وما لم يخلق الناقص لا يعرف الكامل ولولا خلق البهائم لما ظهر شرف الإنس فإنَّ الكمال والنقص يظهر بالإضافة فمقتضى الجود والحكمة خلق الكامل والناقص جميعاً وكما أنَّ قطع اليد إذا تآكلت إبقاء على الروح عدل لأنَّه فداء كامل بناقص فكذلك الأمر في التفاوت الذي بين الخلق في القسمة في الدنيا والآخرة فكلّ ذلك عدل لا جور فيه وحقّ لا لعب فيه. [2]

وعليهم الإعتبار بأنفسهم وبغيرهم من أصحاب الأمراض المزمنة والمستعصية وليعلم هؤلاء الناس أنَّ الإبتلاء إن أراده الله عزَّ وجلَّ لهم لهم فلا رادّ له.

إنّه توجيه للمسلم للأخذ بمنهاج ربّه جلَّ وعلا في التداوي ومقاومة المرض فعلى المسلم أن يأخذ بالوقاية إن إستطاع بإذن الله أو يتداوى بالأدوية إن أصابه المرض وفي أسرع وقت ممكن وبأحسن الأدوية.

ذلك أنَّ مسبِّب الأسباب أجرى سنَّته بربط المسبّبات بالأسباب إظهاراً للحكمة، والأدوية أسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الأسباب. [3]

---
(١) صيد الخاطر ـ فصل ـ ٢٨٨.
(٢) الأحياء ـ ٢٥٢+ ٢٥٣ ـ حـ ٤.
(٣) الأحياء ـ ٢٧٨ ـ حـ ٤.

« عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ إن الله تعالى أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء، فتداووا ولا تتداووا بحرام) أخرجه أبو داود.

وللبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ: ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء).

ولأبي داود والترمذي بمعناه، وزاد: إلَّا داءواحداً قيل: وما هو؟ قال: الهرم).

وعن جابر رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ: ان لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله تعالى) أخرجه مسلم.

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ: لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب، فإن الله تعالى يطعمهم ويسقيهم.) أخرجه الترمذي. [1]

«وثبت في الصحيح من حديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب: «أنهم الذين لا يسترقون ولا يكتوون، ولا يتطيرون. وعلى ربهم يتوكلون» فقد تضمنت أحاديث الكي أربعة أنواع: أحدها: فعله، والثاني عدم محبته له، والثالث: الثناء على من تركه، والرابع: النهي عنه، ولا تعارض بينها بحمد الله تعالى، فإن فعله يدل على جوازه، وعدم محبته له لا يدل على المنع منه. وأما الثناء على تاركه فيدل على أن تركه أولى وأفضل. وأما النهي عنه فعلى سبيل الاختيار والكراهة، أو عن النوع الذي لا يحتاج إليه، بل يفعل خوفاً من حدوث الداء، والله أعلم. [2].

وقد يحاول البعض أن يجعل حكم هؤلاء السبعين الفاً حكماً عاماً فيقولون بعدم التداوي ولست أدري كم هي نسبة هؤلاء السبعين ألفاً بالنسبة لعدد أمة

---

(١) تيسير الوصول - ١٦٩ - جـ ٣.

(٢) زاد المعاد ٩٨ - جـ ٣.

سيدنا محمد ﷺ ليكون ترك التداوي هو القاعدة؟؟ وهل يصبح حكم هؤلاء هو الأصل وما عداه الفرع.

في الصحيحين: عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه: أنه سمعه يسأل أسامة بن زيد: ماذا سمعت من رسول الله ﷺ في الطاعون؟ فقال أسامة: قال رسول الله ﷺ: «الطاعون رجز أرسل على طائفة من بني إسرائيل، وعلى من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فراراً منه «وفي الصحيحين أيضاً عن حفصة بنت سيرين قالت: قال أنس بن مالك: قال رسول الله ﷺ «الطاعون شهادة لكل مسلم»(١)

وقد جمع النبي ﷺ للأمة في نهيه عن الدخول إلى الأرض التي هو بها، ونهيه عن الخروج منها بعد وقوعه كمال التحرز منه، فإن في الدخول في الأرض التي هو بها تعرضا للبلاء، وموافاة له في محل سلطانه، واعانة للإنسان على نفسه، وهذا مخالف للشرع والعقل، بل تجنبه الدخول إلى أرضه من باب الحمية التي أرشد الله سبحانه إليها، وهي حمية عن الأمكنة والاهوية المؤذية. وأما نهيه عن الخروج من بلده ففيه معنيان: أحدهما حمل النفوس على الثقة بالله، والتوكل عليه، والصبر على أقضيته، والرضى بها. (٢)

فينبغي للعاقل أن يحترز غاية ما يمكنه، فإذا جرى القدر مع احترازه لم يلم. والاحتراز ينبغي من كل شيء يمكن وقوعه، وأخذ العدة لذلك واجب وهذا يكون في كل حال، فقد قص رجل ظفره فجار عليه فخبثت يده فمات. (٣)

فإذا جعل الشرع الأمور منوطة بالأسباب، كان اعراضي عن الأسباب دفعاً للحكمة.

ولهذا أرى أن التداوي مندوب إليه، وقد ذهب صاحب مذهبي إلى أن

---

(١) زاد المعاد - ٨٨ - جـ ٣.

(٢) زاد المعاد - ٩٠- جـ٣.

(٣) صيد الخاطر صفحة ٤٥٨.

ترك التداوي أفضل، ومنعني الدليل من اتباعه في هذا فإن الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: ما أنزل الله داء إلا وأنزل له دواء فتداووا.

ومرتبة هذه اللفظة الأمر، والأمر اما أن يكون واجباً. أو ندباً. ولم يسبقه حظراً، فيقال: هو أمر اباحة.

وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: تعلمت الطب من كثرة أمراض رسول الله ﷺ ، وما ينعت له.

وقال عليه الصلاة والسلام لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «كل من هذا فإنه أوفق لك من هذا».

ومن ذهب إلى أن تركه أفضل احتج بقوله عليه الصلاة والسلام: «يدخل الجنة سبعون ألفاً بلا حساب، ثم وصفهم فقال: «لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون».

وهذا لا ينافي التداوي، لأنه قد كان أقوام يكتوون لئلا يمرضوا ويسترقون لئلا تصيبهم نكبة، وقد كوى عليه الصلاة والسلام سعد بن زرارة ورخص في الرقية في الحديث الصحيح. فعلمنا أن المراد ما أشرنا إليه. [1]

«وفيها رد على من أنكر التداوي. وقال: إن كان الشفاء قد قدر فالتداوي لا يفيد، وإن لم يكن قدر فكذلك، وأيضاً فإن المرض حصل بقدر الله، وقدر الله لا يدفع ولا يرد، وهذا السؤال هو الذي أورده الأعراب على رسول الله ﷺ: وأما أفاضل الصحابة فأعلم بالله وحكمته وصفاته من أن يوردوا مثل هذا، وقد أجابهم النبي ﷺ بما شفى وكفى فقال: «هذه الأدوية والرقى والتقى هي من قدر الله، فما خرج شيء عن قدره بل يرد قدره بقدره، وهذا الرد من قدره، فلا سبيل إلى الخروج عن قدره بوجه ما، وهذا كرد قدر الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها، وكرد قدر العدو بالجهاد، وكل من قدر الله، الدافع والمدفوع والدفع. [2].

---

(١) صيد الخاطر فصل ٥١.

(٢) زاد المعاد - ٧٩- جـ٣.

اعلم بأن التوكل من أبواب الإيمان وجميع أبواب الإيمان لا تنتظم إلا بعلم وحال وعمل والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الأصل وعمل هو الثمرة وحال هو المراد باسم التوكل. [١].

واعلم أن الذين تداووا من السلف لا ينحصرون ولكن قد ترك التداوي أيضاً جماعة من الأكابر فربما يظن أن ذلك نقصان لأنه لو كان كمالاً، لتركه رسول الله ﷺ إذ لا يكون حال غيره في التوكل أكمل من حاله. [٢]

إن المسلم إذا قصّر في التداوي فهو ملوم على تقصيره، وإما إن ساءت أحواله رغم العلاج أو من غيره فعليه الصبر على قدر الله.

فالله هو الشافي «وإذا مرضت فهو يشفين» لكن جعل الطب وسيلة للراحة والشفاء والمعافاة. فأن تعتمد على الله وتعالج نفسك خير من أن تعتمد على الله وتهمل نفسك. [٣]

«اعلم أن كتمان المرض واخفاء الفقر وأنواع البلاء من كنوز البر وهو من أعلى المقامات لأن الرضا بحكم الله والصبر على بلائه معاملة بينه وبين الله عز وجل فكتمانه أسلم عن الافات ومع هذا فالاظهار لا بأس به إذا صحت فيه النية والمقصد ومقاصد الإظهار ثلاثة: الأول أن يكون غرضه التداوي فيحتاج إلى ذكره للطبيب فيذكره لا في معرض الشكاية بل في معرض الحكاية لما ظهر عليه من قدرة الله تعالى. [٤]

إنها تذكرة للمرضى والاصحاء ليتداركوا ما أضاعوا من صحتهم وأوقاتهم في غير مرضاة الله عز وجل وليرجعوا، لعل الله أن يغفر لهم وأن يعافيهم ويقيهم فهو جل وعلا بيده مقادير كل شيء، وكما قال القرآن على لسان ابراهيم عليه السلام (وإذا مرضت فهو يشفين) الشعراء «٨٠». إنها تذكرة وعظة ليتوجه المرء

---

(١) الإحياء- ٢٤٠- جـ٤.
(٢) الإحياء- ٢٧٩- جـ٤.
(٣) الأعجاز الطبي في القرآن - ٢٢.
(٤) الإحياء - ٢٨٥- جـ٤.

إلى الله عز وجل بقلب مخلص ونفس رضية وصبر لكي يرفع الله عنه البلاء، وأن يعينه على التمسك بكتابه وسنة نبيه ﷺ وأن ييسر له العلاج الفعال والطبيب الماهر.

إنها موعظة وتذكير وتحذير للمجتمعات والدول كلها ليعلموا أن الله عز وجل قادر على ابتلائهم ببلاء لا يستطيعون منه نجاة، ومرض لا يستطيعون منه فراراً ﴿**وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه**﴾ التوبة «١١٨».

فهذا الطاعون كم قتل من الناس، وكذلك الكوليرا والسل وشلل الأطفال والجدري وغيرها من الأمراض، التي ان سلطها الله على مجتمع أهلكته مهما اتخذ من الوقاية وتدابيرها ومن العلاج وأسبابه، ولعل مرض الايدز، حصاد الفساد والشذوذ الذي يهدد المجتمعات الحديثة خير مثال وهو تهديد وأيما تهديد ما لم يتدارك الله هذه البشرية فيهديها لطاعته ثم لعلاج المرض. ﴿**وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له**﴾ الرعد «١١» ﴿**وما لهم من الله من واق**﴾ الرعد «٣٤»، ﴿**ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا**﴾ طه «١٢٤».

إنه توجيه للناس ليأخذوا على أيدي المبطلين والمبدلين فيقولوا لهم قولة حق يريدون بها وجه الله ولا يخافون فيها لومة لائم وإلا أصابهم الله بالبلاء أفراداً وجماعات.

(عن قيس بن أبي حازم قال: قال أبو بكر رضي الله عنه، بعد أن حمد الله تعالى واثنى عليه: يا أيها الناس أنكم تقرؤن هذه الآية وتضعونها على غير موضعها« يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم» وإنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول: (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقاب، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على أن يغيروا فلم يغيروا إلا يوشك أن يعمهم الله بعقاب) أخرجها أبو داود والترمذي ومعنى (يوشك) يقرب ويسرع.[1]

---

(١) تيسير الوصول ـ ٤١ـ جـ١.

٦ ـ سبب من أسباب الموت

عندما ينتهي الأجل (والأجل عبارة عن مدة ضربت لأمر، وقد يراد به تمام هذه المدة التي هي تمام عمر الإنسان، وتارة الجزء الأخير من العمر). [١]

فإن الله عز وجل يهيء له الأسباب، والمرض واحد من هذه الأسباب. «فالطب يدور ويتحرك ويصول ويجول في نطاق الأجل المحتوم للإنسان ويزيل عنه ما ينغصه من ضنى ومتاعب. [٢]

إن الموت حق كتبه الله على كل ذي روح، ولا بد له من أسباب ظاهرة لأن الله أراد أن يكون لكل شيء سبباً ﴿**إنا كل شيء خلقناه بقدر**﴾ القمر «٤٩».

إلا ما كان بإرادة أخرى ربانية كالمعجزات للأنبياء والكرامات للأولياء الصالحين.

فالعمر كما قلنا آنفاً محدد مُكتوب في اللوح مع بداية خلق الإنسان لكن مهمة الطب هي بتر الألم وتحويل شقاء الإنسانية إلى سعادة... فبدلاً من الإحساس بالألم الذي ينغص عليه ما تبقى من عمره، وبدلاً من القلق والضيق والتوتر ينعم بالراحة وهدوء البال لقوله ﷺ «من أصبح معافى في بدنه آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا» رواه الترمذي. [٣]

إن الموت لا بد له من سبب وهو بداية لما بعده من حساب وجزاء والله وحده يعلم كم قتلت الأمراض قديماً وحديثاً من الناس، ومن هنا نعلم كم هي نعمة الله على البشرية عظيمة بفناء تلك الأجيال، وإلا ضاقت الأرض بأهلها ولم تكفهم مؤونتها.

إن الأمراض والحروب من أهم الأسباب في موت البشر وبذلك يتم

---

(١) الدين الخالص ـ ١٨٨.

(٢) الأعجاز الطبي في القرآن ـ ٢١.

(٣) الأعجاز الطبي ـ ٢٢.

استبدالهم بأقوام آخرين ﴿**وان تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم**﴾ محمد «٣٨» ﴿**كل نفس ذائقة الموت**﴾ آل عمران «١٨٥».

إن المرض حالة تصيب الإنسان قد يشفى منها وقد تنتهي بموته وعليه الصبر عليها، عن أنس رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ: لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه. فإن كان لابد فاعلاً فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي. وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي) أخرجه الخمسة.

وفي رواية النسائي عن قيس بن أبي حازم قال: (دخلت على خباب وقد اكتوى في بطنه سبعا. وقال: لولا أن رسول الله ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به). [1].

وعن أبو عزة قال: (قال رسول الله ﷺ: إذا قضى الله تعالى لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها أو قال بها حاجة). أخرجه الترمذي. [2]

إنه لابد من استقرار هذه الحقيقة في النفس: حقيقة أن الحياة في هذه الأرض محدودة بأجل ثم تأتي نهايتها حتماً. يموت الصالحون ويموت الطالحون. يموت المجاهدون ويموت القاعدون.

يموت المستعلون بالعقيدة ويموت المستذلون للعبيد. يموت الشجعان الذين يأبون الضيم ويموت الجبناء الحريصون على الحياة بأي ثمن، يموت ذوو الإهتمامات الكبيرة والأهداف العالية. ويموت التافهون الذين يعيشون فقط للمتاع الرخيص. [3]

الكل يموت ﴿**كلّ نفس ذائقة الموت**﴾ كلّ نفس تذوق هذه الجرعة؛ وتفارق هذه الحياة، لا فارق بين نفسٍ ونفس في تذوّق هذه الجرعة من الكأس الدائرة على الجميع. إنَّما الفارق في شيءٍ آخر. الفارق في قيمة أخرى، الفارق في المصير الأخير ﴿**وإنَّما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن**

(١) تيسير الوصول ـ ٢٦٠ـ جـ١.
(٢) تيسير الوصول ـ ٥١ ـ جـ٤.
(٣) طريق الدعوة ـ ٢٧٩ـ.

النار وأدخل الجنّة فقد فاز﴾ والموت حتم في موعده المقرّر ولا علاقة له بالحرب والسلم ولا علاقة له بحصانة المكان الذي يحتمي به الفرد، أو قلّة حصانته ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيّدة﴾. ولا يؤخّره أن يؤخّر عنهم تكليف القتال في سبيل الله إذن ولا هذا التكليف والتعرُّض للناس في الجهاد يعجِّله عن موعده.[1]

وهكذا فإنَّ الإنسان عندما يمرض فإنَّه يمنح فرصةً للتوبة والرجوع قبل فوات الآوان وهذا توضِّحه إستعاذة الرسول صلّى الله عليه وسلّم من موت الفجأة الذي لا يملك الإنسان معه فرصةً للتوبة والأعمال بخواتيمها.

عن أنس رضي الله عنه قال: (قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: إذا أراد الله تعالى بعبد خيراً استعمله. قيل: كيف يستعمله؟ قال: يوفقه لعملٍ صالحٍ قبل الموت). أخرجه الترمذي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: إنَّ الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنّة، ثمّ يختم له عمله بعمل أهل النار، وانَّ الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار حتى يختم له عمله بعمل أهل الجنّة). أخرجه مسلم.

فالمرض إذاً تهيئة لنفس المريض لتلقي الموت، فإحساسه بالمرض الشديد يهيِّئه لإمكانية حدوث الموت وقربه وهذا يدفعه للتوبة.

والمرض كذلك تهيئة لنفوس أهل المريض ليكون وقع الأمر عليهم أخفّ من موت الفجأة الذي قد يودي بحياة واحد منهم معه أو يودى بواحد منهم للجنون أو النطق بما لا يليق في حقّ الله عزَّ وجلَّ، فمع المرض يكون انتظار الشفاء أو الموت ويكون وقع الصدمة أقلّ بكثير من صدمة موت الفجأة أعاذنا الله منه، بل انَّ الأمر قد يصل بأهل المريض لأن يتمنّوا له الموت لتنتهي عذاباته.

---

(١)طريق الدعوة ٢٨٠.

٧ ـ بيان قدرة الله على التعذيب والخلق وإعطاؤهم صور مصغّرة من ذلك :

إنَّ الأمراض تسبّب آلاماً جسدية ونفسية وتسبِّب نوعاً من الإعاقة وهذا نوع من العذاب في الدنيا، ولولا أنَّ المسلم يحتسبها عند الله عزَّ وجلَّ فيأجره الله بصبره عليها فتصبح بذلك نعمة بمقياس الآخرة وإلّا لكانت عذاباً محضاً، فهي للمسلم ابتلاء واختبار لصبره وللكافر عذاب محض وتنبيه وتحذير، وليعلم المسلم والكافر أنَّ الله عزَّ وجلَّ قادر على أن يعذِّب بوسائل شتى وأنَّه جلَّ وعلا لا يعجزه شيء، فكلّ شيءٍ من جنده، فالله عزَّ وجلَّ يعذِّب بالريح أو الخسف، أو المطر أو الإغراق، ويعذِّب بأدقّ الميكروبات وأصغرها ممّا عرفنا مثل الفيروسات.

إنَّ كلّ الناس قد جرّبوا الأمراض البسيطة مثل الانفلونزا والرشح ويعلم الجميع كم يصيب الإنسان من آلام في المفاصل من هذه الأمراض فكيف بآلام من يصابون بالسرطان أو أمراض المعدة أو الفشل الكلوي أو هبوط القلب أو الأزمات التنفسية، أو الحكّات الجلدية وكلّها أنواع من العذاب لا يستطيع الإنسان أن يطيقها أحياناً وهي جزء صغير جداً ممّا عند الله من عذاب.

إنَّ نار جهنّم والعياذ بالله شديدة وهي تطلب المزيد **﴿يوم نقول لجهنّم هل امتلأت وتقول هل من مزيد﴾** ق «٣٠»، وإنَّ من أصابه الحرق في الدنيا وظهرت عليه آثاره من تشوُّهات وإنسلاخات يعلم كم الحرق مؤلم وكم هي آثاره شديدة وسيِّئة، فكيف مع تجدُّد الجلود بأخرى في جهنّم زيادة في العذاب والعياذ بالله، **﴿كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾** النساء «٥٦» وذلك ليكون الإحساس عميقاً متوصلاً، فالجلد من أكثر المناطق حساسية للألم في الإنسان وهو خط الدفاع الاول عن الجسم ولذلك كان من اكثر المناطق حساسية ليقوم بالدور المرسوم على اكمل وجه. ان الله عزَّ وجلَّ هو العظيم ولا يرضى بغير تعظيمه، وهو القادر ولا يرضى بغير تقديره حقّ التقدير **﴿وما قدروا الله حقّ قدره﴾** الأنعام «٩١»، وهو الجبّار الذي يملك البطش بمن

يستحق من العباد بأساليب شتّى وطرق كثيرة، فيسلّطها على من يشاء، أنّى يشاء، كيف يشاء،وللبشرية في السرطان عبرة فهي لا تدري له حتى الآن.علاجاً شافياً ولا تجد لها معه وسيلةً ناجحةً، ولها عبرة كذلك في هذا العذاب النفسي الذي تعيشه نتيجة مشاكل وعقد لا يجد لها أحد حلاً وما هي إلاّ نتيجة البعد عن منهج الله.

فما على المسلم إلاّ العودة لدينه كي لا يخسر آخرته، ولئن خسر الدنيا، فعليه أن يحرص على أن لا يخسر الآخرة فهي الأهمّ وهي الحياة الحقيقية وهي الأعظم والأكرم والأحسن ﴿**وانَّ الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون**﴾ العنكبوت ٦٤.

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، فقالت عائشة رضي الله عنها: إنّا لنكره الموت. قال: ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشرّ برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحبّ إليه ممّا أمامه، فأحبّ لقاء الله وأحبّ الله لقاءه، وإنَّ الكافر إذا حضره الموت بشرّ بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه ممّا أمامه، فكره لقاء الله، وكره الله لقاءه).
أخرجه الخمسة إلاّ أبا داود[1].

إنَّه مع صبر المسلم فإنَّ خسارة سعادة الدنيا بسبب المرض ليست بكبيرة، فإنَّ سعادة الآخرة هي الأبقى.

٨ ـ إستثارة حب البحث في الإنسان وحثّه على الأخذ بالأسباب:

إنَّ الصّحة هي أكثر ما يهتم به الإنسان، وانَّه ليدفع الكثير من أجل الشفاء من المرض أو في سبيل عدم الإصابة به، فهو يعلم أنَّ الدنيا بكلٍّ ما فيها لا تساوي المعيشة في عذابٍ دائمٍ أو مؤقّتٍ.

إنَّ المرض من أكثر الأمور تأثيراً على الإنسان فهو يعتبره أوّل الطريق نحو الموت أو الآخرة.

---

(١) تيسير الوصول ـ ٢ ـ ٤٠٢ ـ حـ ٣.

انَّ الله عزَّ وجلَّ قد جعل لكلِّ داءٍ دواء إلاّ الهرم، عَرفة من عَرفة وجهله من جهله، وانَّ الإنسان مدفوعاً بحبّه الفطري للحياة وخوفه من الموت يسارع بالبحث عن مخرج أو دواء لكلِّ مايصيبه، وهذا يثير في الإنسان حبّ البحث والتحرّي والنظر من أجل الوصول إلى علاج لأهمّ ما يهدِّد حياته وهو المرض، وبذلك تنمو عند الإنسان ملكة حبّ البحث سعياً وراء الأخذ بأسباب الشفاء المناسبة بكلّ أنواعها وجوانبها وما يوصل إليها.

وإنَّ هذه الأمراض الجسدية والنفسية لتثير في الإنسان كذلك الرغبة في البحث في أمراض المجتمع والأمّة لأنَّها تنعكس مرضياً على الأفراد.

٩ ـ تعذيب الكفّار والتعجيل لهم به:

إنَّ المرض بالنسبة للمسلم الصابر المحتسب نعمة بمقياس الآخرة، وأمّا بالنسبة للكافر فهو تعجيل بالعذاب والعقاب وتحذير في الدنيا، لعلّه يرجع أو يتوب، أمّا في الآخرة فله عذاب أعظم.

وإنَّ الكفّار لينالون من أنواع العذاب نتيجة المرض أكثر ممّا يلاقيه المسلمون لأنَّ هناك أمراضاً تنتقل بينهم عن طريق العلاقات الفاسدة والجنس الرخيص والشذوذ، كالزهرى والسيلان والإيدز وغيرها ممّا هو معروف ومعروفة نتائجه.

إنَّ مرض الزهرى والعياذ بالله يقوم بتدمير الجهاز العصبي والدموي، والخمر تقوم بتدمير الكبد.

أمّا الخنزير فإنّه يقوم بنقل نوع من الديدان أخطر من التينيا المعروفة[Taenia Saginata] عند آكلي الغنم، وهذه الديدان تسمّى [Taenia Solium و Trichinella Spiralis] تينيا سوليم، وتريكينيلا سبايرالس، وهما نوعان خطيران من الديدان.

إضافة للأمراض النفسية الإجتماعية التي تنتشر في أجواء الفساد،

كالضياع الفكري وتفكُّك الروابط الأسرية والإجتماعية، وضياع القيم الاخلاقية ممّا نراه في المجتمعات الأوروبية والماديّة **﴿ومن أعرض عن ذكرى فإنَّ له معيشة ضنكا﴾**. سورة طه «١٢٤»

إضافةً لإنتشار الظواهر المرضية الإجتماعية الخطيرة كالتدخين الذي له علاقة بسرطانات الجهاز التنفسي والفم وضغط الدم وأمراض القلب. يقول علماء الطب انَّ تدخين ٣٥ سيجارة فأكثر في اليوم الواحد يمهِّد إلى سرطان الرئة وهذا إسراف نهى القرآن عنه في قوله الحكيم **﴿وكلوا وآشربوا ولا تسرفوا﴾**[١].

إنَّ ظاهرة تناول المخدّرات أصبحت منتشرة وهي تؤدّي إلى الجرائم الإجتماعية والعصبية والخسارة المادية الفادحة إضافةً للخسارة الصّحية البدنية.

إنَّ على المسلم المبتلى أن يقلع عن هذه الظواهر المرضية وذلك بأن يعرف حرمة تناول المخدرات وأمّا بالنسبة للتدخين فعليه أن يأخذ على الأقلّ بالقاعدة الشرعية. عن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب سبط رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وريحانته رضي الله عنهما قال حفظت من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: **﴿دع ما يريبك إلى ما لا يريبك﴾**. والقاعدة الشرعية عن أبي سعيد سعد بن سنان الخدري رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: **﴿لا ضرر ولا ضرار﴾** حديث حسن رواه ابن ماجة والدار قطني. وعليه أن يعزم على عدم الإقتراب من الحرام بالإبتعاد عن الشبهات **﴿فمن اتّقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه﴾** من حديث رواه البخاري ومسلم **﴿ويحلّ لهم الطيبات ويحرِّم عليهم الخبائث﴾** الأعراف «١٥٧».

وإنَّ التدخين إضافةً إلى مضاره الجسدية فإنّه يضع الإنسان تحت ضغط العادة وتحكُّمها وهو ما لا يليق بمسلم أسلم وجهه لله وحده.

إنَّ كل هذه الأمراض هي أنواع من العذاب ولا يقف الأمر عند هذا

(١) الإعجاز الطبي في القرآن ٩٢.

الحدّ، فإنَّ الإنسـان الكافـر يستهلك من مالـه ووقته الكثـير في البحث والجري واللهث وراء الشهـوات مع مـا يصاحب ذلـك من ألم وعـذاب نفسي وجسـدي وعذاب الناس من حوله.

إنَّ العذاب الذي يعيشـه إنسان القـرن العشرين، البعيد عن ربِّـه، كبير جدّاً، ولذلك فإنَّه يلجأ إلى رفض كـلّ القيود حتى لا يشعـر بثقل هـذا العذاب ولكنَّه وللأسف قد وجد من يفلسف له ذلك، ويجعله حلالاً مستساغـاً أو عرفـاً مقبولاً حتى أصبح زواج البنت من أبيها والأخ من أخته والرجل من الرجل أمراً يقرّه القانـون وتحميه الـدول في أروروبا. نشرت مجلة اخبـار الاسبوع القـطرية في عددها الصادر في ١٩٨٧/٧/١١ تحت عنوان:

جنون الجنس يجتاح العالم

أكدت أحدث الاحصاءات أن هناك ٧٠٠ مليون مصاب بمرض جنسي في العالم، عدا مرضى الايدز. أضيئت الأنوار الحمراء في جميع مراكـز أبحاث الايـدز الأوروبية والاميركية بعد أن تبين أن عدد المصابين به سيصل إلى ١٠٠ مليـون عام ١٩٩١. قال الدكتور محمد علي البار المستشار بمركز الملك فهد للبحوث الطبيـة في جدة أن عدد المصابين بالسيلان في العالم ٢٥٠ مليوناً، والكلاميـديا الجنسيـة ٤٠٠ مليون والزهرى ٥٠ مليوناً.

أضاف أن الاباحية الجنسية في الـولايات المتحـدة وصلت إلى حد أن عـدداً يـتراوح ما بـين ١٢ إلى ١٥ مليون فتـاة أميريكيـة على عـلاقة جنسيـة مـع آبـائهن ونشرت صحيفة هيرالد تريبيون الأميركية أن ١٠٪ من العائلات الأميركيـة تمارس نكـاح المحارم، كـما ذكرت نفس الصحيفـة أن ما يـزيد عـلى ٢٠ مليـون أمـيركي يمارسون اللواط ويتباهون به.

أشار الدكتور البار إلى أن الأمراض الجنسية تكاد تستعصى على العلاج فبعد أن توصل الأطباء إلى ايجاد علاج لمرض الزهرى، وظنـوا أن هذا المـرض أصبح لا وجود له، إذا بهم يفاجأون بأن الزهرى عاد ليفتك بالملايين ممن يمارسون الابـاحية الجنسية.

وقال إن ظهور وباء الايدز يؤكد هذا المعنى فقد فشل الأطباء حتى الآن في ايجاد علاج له، وحتى العقار الذي توصل إليه بعض الأطباء الأميركيين، تبين بعد فترة تجارب طويلة أنه لا يستطيع القضاء على فيروس الايدز.

ركز الدكتور البار على الدور الخبيث لليهود في نشر الفاحشة والترويج لها. قال ان الكتاب والاعلاميين والسينمائيين وأساتذة الجامعات اليهود يعملون على تأجيج الحملة الداعية إلى التحلل الخلقي والانفلات الجنسي. فضح الدكتور البار دور عالم النفس اليهودي فرويد الذي حاول صبغ الاباحية الجنسية بقالب علمي زائف حيث صور علاقة الطفل بأمه وخاصة أثناء الرضاعة بأنها علاقة جنسية!

إنَّه لا بدّ من الرجوع إلى الذي خلق الإنسان ووضع له الموازين وبيَّن له صورة حياته اللائقة به كإنسان وعرَّفه على طريقه فيها لتستقيم حياته.

هٰذا واحب أن أُنبِّه إلى نقطتين:

أ - إنَّ الله عزَّ وجلَّ يعذِّب ويبتلي بالأمراض، لا بالميكروبات فقط، فالأمراض كثيرة الأنواع، منها ما هُو ميكروبي ومنها ما هو غير ذلك، كحدوث خلل في التفاعلات الداخلية في الجسم مثل زيادة حموضة أو قلوية الدم، أو زيادة السكر أو البولينا، أو نقص في السكر أو بعض الأنزيمات، أو زيادة أو نقص بعض الإفرازات من الغدد الصمّاء وغير الصمّاء، الأولى مثل الدرقية أو فوق الكلوية والثانية كالغدد اللعابية، ومن الأمراض كذلك، أمراض الحساسية بأنواعها الجلدية والدموية والصدرية، وأمراض خلل جهاز المناعة ومنها تلك التي يدمِّر الجسم فيها بعض أعضاءه(Auto Immune) ومن الأمراض السرطان أعاذنا الله منه ومن جميع الأمراض وكشف لنا عن أسبابها وعلاجها، ولازال المجال مفتوحاً لإكتشاف المزيد من الأمراض ممّا قد نعرف سببه وقد لا نعرفه، وقد نجد علاجاً له، أو لا نجد، بل إنَّ المسبِّب نفسه قد ينتج نوعاً جديداً من المرض في مرحلة أخرى من العمر، فقد يبدأ المرض على شكل إلتهاب ليتحوَّل إلى خلل في المناعة أو حساسية وهكذا.

إنَّ السرطان مرض عضوي شديد الخطورة في غزوه المدمِّر الذي يقوِّض

نـواحي البدن ولايـزال علماء الطب مختلفـين في أسبابـه وإن كانت هنـاك بعض الأنـــواع منـه أضحت مجلوة تمــامـاً إلّا أنَّ الكثـــير لم يعـــرف عن مسبّبــه شيء واضح.[1]

ولعلنا جميعاً نـدرك أنَّ كلمة «سرطـان» لها تـأثير قـاتل عـلى نفس المريض وعلى معنويـاته إذ تصيبـه بالإنهاك الشـديد إذ يعتقـد أنَّ بقاءه في الـدنيا أصبـح محدوداً وأنَّ رصيده من الوجود يتنـاقص شيئاً فشيئـاً، إذ أنَّ الغزو العـاتي المدمِّـر لابدَّ أنَّه سيقضي عليه إن آجلاً أو عاجلاً ناهيك عن القلق وعـدم النوم والبكـاء المستمر الذي لا ينقطع.[2]

لقـد عالـج القرآن أوجـاع النفس المكدودة بقـوله الكـريم: **﴿وما كـان لنفسٍ أن تموت إلّا بإذن الله كتاباً مؤجّلاً﴾** آل عمران «١٤٥» وقـوله **﴿كـلّ نفسٍ ذائقة الموت وإنّما توفـون أجوركم يـوم القيامـة﴾** آل عمران «١٨٥». وقوله: **﴿كلّ شيء هالك إلّا وجهه﴾** القصص «٨٨». وقـوله: **﴿ولكـلِّ أمّة أجـل، فإذا جـاء أجلهم لا يستأخرون ساعـةً ولا يستقـدمـون﴾** الأعـراف «٣٤».

بهذا تستريح النفس المضطربة ويسكن القلب الثائر الهلوع راضياً بقضـاء الله وقدره إذ أنَّ الموت لا محالة آتٍ والنهاية لا مناص ولا مفرّ منها كيفما تعـدّدت الأسباب.

﴿وننزل من القرآن ما هو شفـاء ورحمة للمؤمنـين﴾ الأسراء «٨٢» **﴿ويشف صدور قوم مؤمنين﴾**.[3]

وحتى الميكـروبات فـلا يستطيـع أحد الجـزم بأنّها قـد كشفت كلّها، ورغم إكتشاف الكثير منها وإجراء الكثير من الأبحاث، لكن لايزال بعضها لايؤثِّـر فيه دواء، وإن أثّر فلمدّة بسيطة نتيجة تكـوّن مناعـة عند الميكـروب ضدّ الـدواء ممّا ينبىّء بالخطر في المستقبل.

(١) الاعجاز الطبي في القرآن ـ ٩١.
(٢) الاعجاز الطبي في القرآن ـ ٩٣.
(٣) الاعجاز الطبي في القرآن ـ ٩٣.

إنَّ الله عزَّ وجلّ قادر على أن يحدث الكثير من الأمراض تكون أكثر بلاء من سابقاتها وأكثر إيلاماً، ولعلّ حصاد الشذوذ (الإيدز) من هذه النوعية.

إنَّ المرض يتكوّن بمشيئة الله نتيجة ظروف معينة جسدية مع عوامل أخرى قد تعرف أو لا تعرف خارج إطار الجسم، والله عزّ وجلّ قادر على أن يخلق أمراضاً جديدةً في كلّ وقتٍ وحينٍ، فالأمراض تزداد بازدياد بعدنا عن الله في أيّ من أمور حياتنا كلّها، سواء كانت هذه الأمور إجتماعية أو سياسية أو إقتصادية أو في القانون أو الأخلاق أو التربية أو التخطيط أو غيرها ممّا يدخل في محتوى شريعة الله، وتقل الأمراض بقربنا من الله جلّ وعلا فهو مالك الأسباب يمنعها عمّن يشاء ويسلطها على من يشاء.

ولعلّ للقضايا الاخلاقية والعادات الإجتماعية دور أساسي في نشوء الأمراض لما لها من علاقة وطيدة بتغير الظروف البيئية والنفسية والجسدية.

ب ـ إنَّ الآلام النفسية في ظل الحضارات المادية أقسى بكثير من كلّ داء جسدي، فالمجتمعات المادية تصل بالإنسان إلى أن يعيش بلا هدف أو تطلع إلّا في حدود نفسه المادية، ولذلك فإنّه يعيش في ظلّ عدم الإطمئنان وعدم الثقة ممّا يجعله تربةً خصبةً لكلّ تيار معوج وطريق ضال.

إنَّ الكثيرين في الغرب يسعون وراء الشهوات ويلهثون للوصول إليها، وبأيّ طريق كان ومهما كانت المخاطر، وهم يتعذّبون إن لم يصلوا إليها، ويتعذّبون بعد أن ينفقوا أموالهم في مسارب الهوى والضلال لأنَّ عليهم أن يجدوا المزيد من المادة سعياً وراء المزيد من اللذات وهكذا يدورون في دوامة الجري وراء المادة والملذات.

إنَّ أصحاب أمراض الشذوذ والإكتئاب وإنفصام الشخصية وأصحاب الميول الإجرامية كثيرون في أوروبا وأمريكا وكلّ ذلك حصاد البعد عن منهج الله، ونحن لا ننكر وجود أمثال ذلك في عالمنا الإسلامي ولكنَّه في معظم الأحيان نتيجة ظروف معيشية كالفقر أو نتيجة ظروف سياسية أو نتيجة للبعد عن منهج الله

الذي أنشأ تناقضاً واضحاً بين المبادىء التي يدرسها أبناء هذه الأمّة والواقع الـذي تعيشه دولها.

المريض النفسي يشكِّل مسألة معقّدة لا حيلة للطب فيها بـل يقف الطب عاجزاً عن عمل شيء فيها ويتجه الطب الحديث للإهتمام بالطب النفسي على أساس أنَّ تقدُّم المدنية عادةً يصحبه تدخُّل الآلة في العمل ويصحب ذلك التفكير العقلي وتزداد من ثمَّ أعباء التفكير ومشاكله.

ومن أوزار الحضارة الإضطرابات النفسية، والإكتئاب النفسي والقلق والتوتر والضيق، ومن ثمَّ نرى أنَّ المريض النفسي يشكو عادةً من الوهي العضلي والخمول والكسل، وعدم القدرة على العمل والملل والسآمة والتوتر أي أن الحالة النفسية تؤثّر على الجهاز العضلي والعضوي، ولو أنَّ القرآن أوصد الباب في وجه العبد العاصي لكان ذلك بمثابة يأس وشقاء ممّا يؤدّي إلى مزيد من الفسق والفجور وإلى الكثير من العصيان لأنَّه طالما فقد الآخرة فإنَّه لم يبقَ له أي أمل فيها وهو يسرف في الدنيا حتى يشبع نفسه من ملذاتها ومن شهواتها لأنَّها فرصة الإستمتاع المتاحة له.. وكان على الدنيا السلام والعفاء... ولفسدت الأرض.. والله لا يحبّ الفساد لقوله: ﴿**انّا جعلنا ما على الأرض زينةً لها**﴾ الكهف «٧».

إنَّما فتح الله باب التوبة بحساب وقدر وحكمة ففي آية نرى تهديداً أو وعيداً للكافرين.. وفي أخرى نجد اللين واليسر والعفو والمغفرة والصفح الجميل عن التائبين ﴿**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إنَّ الله يغفر الذنوب جميعاً**﴾ الزمر «٥٣». [١]

يقول إبن القيم رحمه الله:

فأمّا طب القلوب فمسلم إلى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، ولا سبيل إلى حصوله إلّا من جهتهم وعلى أيديهم، فإنَّ صلاح القلوب أن تكون

---

(١) الاعجاز الطبي في القرآن ـ ٩٦.

عارفة بربِّها وفاطرها، وبأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه، وأن تكون مؤثرةً لمرضاته ولمحابه، متجنّبةً لمناهيه ومساخطه، ولا صحة لها ولا حياة البتة إلاّ بذلك، ولا سبيل إلى تلقّيه إلاّ من جهة الرسل، وما يظنّ من حصول صحة القلب بدون اتّباعهم فغلط ممّن يظنّ ذلك، وإنَّما ذلك حياة نفسه البهيمية الشهوانية وصحتها وقوتها، وحياة قلبه وصحته وقوته عن ذلك بمعزل، ومن لم يميّز بين هذا وهذا فليبكِ على حياة قلبه، فإنَّه من الأموات، وعلى نوره فإنَّه منغمس في بحار الظلمات.(١)

١٠ - تهيئة النفوس للإيمان بتنبيهها بين الحين والآخر وربطها بالله وتقريبها منه:

إن علاقة المرض بالإيمان قوية جداً، فالإنسان حال المرض يستشعر ضعفه وقلة قوته ويجعله مرضه يفكر ملياً في خطورة الموت على الكفر.

إن الإنسان يعلم حال مرضه أن هناك قوة فوق قوته هي التي قهرته بهذا الميكروب الصغير الذي لا يساوي شيئاً في عالم المادة، أو بغيره، تحت هذه الظروف يجد الإنسان نفسه وقد لجأ إلى صاحب الأمر يسلم نفسه إليه طالباً العون منه (وإذا مرضت فهو يشفين) الشعراء «٨٠» ، «قال تعالى (وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين) وقال: (واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب. أركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب). وقال أيضاً (فاستجبنا له. فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين). ٨٤ الأنبياء.

رغم الفترة المرضية الطويلة التي عانى أيوب منها وقاسى من لاوائها فإنه لم يفقد الثقة في ربه ولم يتحول عنه، إنما انصرف إليه واتجه إليه بجوارحه وأعماقه بما يفيد معنى النداء من الإستغاثة. (٢)

---

(١) زاد المعاد - ٧٦ - حـ ٣.

(٢) الأعجاز الطبي في القرآن (٨٨).

ولقد حدث مراراً أن يعود الإنسان لربه أثناء مرضه أو بعده، فالمرض حالة تتكشف الفطرة فيها وتزول عنها الادران والأغطية.

إن المرض ليفتح بإذن الله القلوب، فعند المرض يسترجع الإنسان ذكريات ذنوبه فيشعر بالخوف منها ويحس بخطرها فيبادر من فوره ليستغفر الله من تلك الذنوب.

وتحت تأثير المرض تعود القلوب إلى ربها صاغرة راجية خائفة فيستقبلها ربها برحمته (عن أبي حمزة أنس بن مالك الأنصاري خادم رسول الله ﷺ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لله أفرح بتوبة عبده من أحدهم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة» متفق عليه وهكذا تعمل الأمراض على تنبيه القلوب الغافلة اللاهية العابثة وتقرعها قرعاً شديداً لتصحو على الحقيقة المنتظرة والنهاية المرعبة إن بقيت هذه القلوب على حالها من اللهو والغفلة والعبث.

عندما يحس القلب باحاسيس قرب الأجل، وخطورة الموت على الكفر والمعاصي وخطورة معصية الرب، ونعيم الجنة ولهيب النار، فإنه عندها ينطلق في رحاب الإيمان ساجداً وتنطلق الجوارح مصدقة عاملة بالدين الحنيف ملتزمة بأوامره وبذلك تنمحي الذنوب والمعاصي ويمتليء القلب بالنور والإيمان من جديد.

إن الأمراض تربط الإنسان بربه برباط الرجاء والخوف وطلب العون والشفاء. ولكن ينبغي أن يكون خائفاً غير آيس، وراجياً غير آمن، وان الله عند ظن عبده به، كما ورد بذلك الحديث الصحيح.

ولابد من أن يحسن الظن بالله عند الاحتضار خاصة. اللهم بلغت ذنوبي عنان السماء، فاغفر لي كلها، يارب الأرض والسماء، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ولا رب ولا إله سواك).[1]

إن الإنسان في المرض يعرف ضعفه وعظمة ربه فتهتز لهذا المشاعر وتنطلق

---

(١) الدين الخالص ـ ١٤١ ـ جـ٣.

نحو التمسك بالرباط المقدس وكتاب الله المجيد فيقربها الله عز وجل (عن أنس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺيقول «قال الله تعالى يابن آدم أنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك يابن آدم انك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لاتشرك بي شيئاً لاتيتك بقرابها مغفرة» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح).

وبذلك يكون المرض طريقاً نحو الإيمان ميسراً بقليل من الفكر الصحيح والخوف الواعي. إن الذي يتفكر في الآخرة والدنيا وحقيقتهما ويتفكر في عظمة الخالق وضعف المخلوق ويتفكر في صغر الميكروبات، وضعف الإنسان أمامها، يعلم أن الذي وهبها هذه القدرة هو الله العظيم القادر الجبار فتخضع روحه وجسده لهذا الملك العظيم طالباً العفو والشفاء فإنه جل وعلا بيده الشفاء ﴿**وإذا مرضت فهو يشفين**﴾ الشعراء «٨٠» ﴿**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين**﴾ الأسراء «٨٢».

إن الله عز وجل هو الذي يقي الإنسان من المرض وهو الذي يعافيه من مرضه، عن أبي الدرداء رضي الله عنه: (أنه أشتكى إليه رجل احتباس البول، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من اشتكى منكم شيئاً فليقل: ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض، واغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ، وأمره أن يرقيه به فرقاه فبرأ). أخرجه أبو داود. «الحوب» بضم الحاء المهملة وفتحها: الاثم.

وعن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه: (أنه اشتكى إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده في جسده منذ أسلم، فقال له: ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل: بسم الله ثلاث مرات، وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر. قال: ففعلت ذلك مراراً فأذهب الله ما كان بي، فلم أزل آمر

أهلي وغيرهم بذلك). أخرجه مسلم ومالك وأبو داود والترمذي.[1]

إن من عرف عظمة الله وجبروته وقدرته خافه حق الخوف (اتقوا الله حق تقاته) آل عمران «١٠٢»، وأدرك واجبه نحوه، وسعى نحو تلبية نداءه والتزم أوامره ﴿**يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون**﴾ البقرة «٢١».

إن من يستحضر رحمة ربه ووده بعباده ورأفته بهم استحيا من الله أن يعصيه. إن الإنسان حال المرض يزداد احساسه بالأمور لأنه يكون مكشوف الفطرة، مهيأ النفس خالي الذهن إلا من مرضه، ويكون عنده الكثير من الوقت ليفكر ويتفكر ويتذكر ويسترجع، ومن عاد فإن الله غفور رحيم (عفا الله عما سلف) المائدة «٩٥»، ﴿**فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ الأنعام «٤٨» ﴿**فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ الأعراف «٣٥».

١١ - وسيلة لربط المسلمين ببعضهم وزيادة الصلات بينهم:

لقد سن الإسلام زيارة المريض وجعلها من دلائل الأخوة وعلامات المحبة، «عن علي رضي الله عنه قال: (قال النبي ﷺ ما من رجل يعود مريضاً ممسياً إلا خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يصبح، وكان له خريف في الجنة، ومن أتاه مصبحاً خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يمسي، وكان له خريف في الجنة) أخرجه أبو داود والترمذي. «الخريف» هنا الحائط من النخل.

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ: من عاد مريضاً لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع). أخرجه مسلم والترمذي.

وعن أنس رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ: من توضأ فأحسن

---

(١) تيسير الوصول - ١٧٩- ١٨٠ - جـ ٣.

الوضوء، وعاد أخاه المسلم محتسباً بوعد من النار مسيرة سبعين خريفاً). قال أنس: «الخريف» العام. أخرجه أبو داود.»

وجعلها كذلك من حقوق المسلمين على بعضهم، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: (قال رسول الله ﷺ: مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى). أخرجه الشيخان.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (من السنة تخفيف الجلوس، وقلة الصخب في عيادة المريض). أخرجه رزين.

ولقد وعدالله عز وجل من يزور أخاه المريض بالجزاء خيراً وربط هذه الزيارة بالمحبة في الله وليعلم المسلمون أن ترابطهم عقائدي وأن أخوتهم ورابطتهم ومحبتهم مستمدة من السماء فلا تفتر ولا تضعف خاصة عند الشدائد.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ: من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله تعالى ناداه مناد: أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا) أخرجه الترمذي. «تبوّأت» أي اتخذت.

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: (عادني رسول الله ﷺ من وجع كان بعيني). أخرجه أبو داود.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (لما أصيب سعد بن معاذ رضي الله عنه يوم الخندق في أكْحَلِهِ. ضرب له رسول الله ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب). أخرجه أبو داود والنسائي.

وجعل الإسلام للزيارة دعاء يرقي به الزائر أخاه المريض، عن علي رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ إذا أتى مريضاً، أو أتي به إليه قال: أذهب الباس رب الناس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لايغادر سقماً) أخرجه الترمذي. «الباس»: الشدة والألم - «والمغادرة»: ترك.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (قال رسول الله ﷺ: من عاد

مريضاً لم يحضر أجله فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلا عافاه الله تعالى من ذلك المرض). أخرجه أبو داود والترمذي.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ إذا دخلتم على مريض فنفسوا له في أجله فإن ذلك يطيب نفسه). أخرجه الترمذي.

فالدعاء يبين لنا أن الشفاء من عند الله ويدل كذلك على محبة المسلم ورغبته في شفاء أخيه المسلم مما يبث بينهما روح المحبة الصادقة المتبادلة مع الحرص والثقة المتبادلين.

عن أنس رضي الله عنه (أن غلاماً من اليهود كان يخدم النبي ﷺ: «فمرض فعاده النبي ﷺ فقعد عند رأسه فقال له: أسلم فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال أطع أبا القاسم فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه بي من النار) أخرجه البخاري وأبو داود.

إن المساعدات المادية والمعنوية التي تقدم للمريض سواء كان ذلك على شكل مال أو خدمات أو قضاء للحاجات هو حق للفرد على الدولة المسلمة وعلى المجتمع المسلم أفراداً وجماعات، فالتكافل الصحي ضرورة وواجب إسلامي، فكثير من الناس لا يستطيعون دفع تكاليف العلاج بافرادهم، وعلى الدولة والمجتمع مساعدتهم، وبذلك يكون المرض وسيلة من وسائل الترابط الاجتماعي في المجتمع المسلم، ومحك حقيقي لحقيقة العلاقات فيه، فالذي يحب أخاه لابد أن يواسيه في محنته وأن يساعده في كربه مادياً، ونفسياً بمنحه الأمل وتذكيره، وجسدياً بمساعدته على قضاء حاجاته الضرورية.

اللهم لا تبتلينا وإذا ابتليتنا أن تصبرنا، واجعلنا اللهم من البارين باخوانهم في الله، عسراً ويسراً، منشطاً ومكرهاً.

هذه بعض الحكم الظاهرة، ولعل من الحكم ما هو متعلق بالوجود كله فلا نستطيع الوصول إليه، وتبقى الحكم بكمالها وحقيقتها عند الله لا يعلمها إلا

هو جل وعلا، ولعل هذه التي أوردناها بعضها.

ونحن لا ننكر أن العقل يرشد إلى التوحيد، وإنما ننكر أنه يستقل بإيجاب ذلك حتى لا يصح اسلام إلا بطريقة [1]. بل يجب الإيمان بما ثبت من السمعيات، فإن عقلناه، فبتوفيق الله تعالى، وإلا اكتفينا باعتقاد حقيقته على وفق مراد الله تعالى. [2].

ويظل هذا السؤال سؤالاً خطيراً ان أخذ صبغة الشك في عدالة الله وحكمته فقد يؤدي بصاحبه للكفر، وان تعليق الإيمان على معرفة الحكمة أمر خطير وهو نقض لأصول فهم هذا الدين ومبادئه، فعدل الله محيط وحكمته واسعة لايحدها شيء ﴿**ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين**﴾ البقرة «٢». ﴿**يؤمنون بالغيب**﴾ البقرة «٣» ﴿**إنا كل شيء خلقناه بقدر**﴾ القمر «٤٩».

إن المؤمن بصفات الله جل وعلا وبالغيب إيماناً حقيقياً لا يسأل مثل هذا السؤال إلا لزيادة الاطمئنان ﴿**قال بلى ولكن ليطمئن قلبي**﴾ البقرة «٢٦٠». ﴿**وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً**﴾ الأنفال «٢»، أما المنافق فحقيقته الكفر وظاهره الإسلام، وهذا هو الذي يسأل مشككاً مرتاباً أو ليخرج المسلمين عن إيمانهم ﴿**فهم في ريبهم يترددون**﴾ التوبة «٤٥».

أما المسلم الجاهل بالحكمة فإنه مأجور بطلبه المعرفة والعلم وبثقته وإيمانه بالغيب وبإيمانه بعدالة الله وحكمته، انه مؤمن ثابت الإيمان وإن لم تتبين له الحكم كلها وتتضح له الأسباب فالله عز وجل ﴿**لا يسأل عما يفعل وهم يسألون**﴾ الأنبياء «٢٣» ﴿**هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب**﴾ البقرة «٢، ٣» ﴿**والذين يؤمنون بما انزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون**﴾ البقرة «٤».

---

(١) الدين الخالص ـ ١٤٤ـ جـ١.

(٢) الدين الخالص ـ ١٤٤ ـ جـ١.

الباب الخامس

لماذا لا نتمنّى المرض؟

قد يطرح أحدهم هذا السؤال: لماذا لا نتمنّى المرض لنفوز بالجنّة!؟

والجواب: أنَّ الله خلقنا لعمارة الأرض، وهذه المهمّة لا تتمّ بمرضى وعجزة **﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾** البقرة «٣٠» **﴿وما خلقت الجن والإنس إلّا ليعبدون﴾** الذاريات «٥٦»، بل لابدَّ أن تكون الغالبية من الأصحّاء وعلينا أن نسعى دوماً لأن نكون أصحاء لنقوم بالمهمّة على أكمل وجه.

إنَّ علينا أن نلتزم بسنن الإسلام فلا نطلب البلاء، ولكن نصبر عليه إن وقع، ونسأل الله أن يكتب لنا الخير دائماً في الدنيا والآخرة **﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾** البقرة «٢٠١».

وفي الصبر على ما يقع من البلاء أحاديث كثيرة منها ما ورد في صحيح مسلم عن أمّ سلمة قالت: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله «انا لله وانا إليه راجعون، اللّهمّ أجرني في مصيبتي وآخلف لي خيراً منها» الا أخلف الله خيراً منها. قالت فلمّا مات أبو سلمة قلت: أيّ المسلمين خير من أبي سلمة، أوّل بيت هاجر إلى رسول الله صلّى الله عليه

وسلّم، ثمّ اني قلتها فأخلف الله لي رسوله صلّى الله عليه وسلّم، فأرسل إلي رسول الله صلّى عليه وسلّم حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له. فقلت انَّ لي بنتاً وأنا غيور، فقال: أمّا بنتها فأدعو الله أن يغنيها عنها وأدعو الله أن يذهب بالغيرة. فتزوجت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه «انَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أتى على امرأة تبكي على صبي لها، فقال لها: إتقِ الله وأصبري. فقالت: وما تبالي بمصيبتي. فلمّا ذهب، قيل لها انّه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. فأخذها مثل الموت فأتت بابه فلم تجد على بابه بوابين، فقالت: يا رسول الله لم أعرفك. فقال: إنّما الصبر عند أوّل صدمة».

وفي جامع الترمذي ومسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي، فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك وآسترجعك. فيقول: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنّة وسمّوه بيت الحمد.

وفي صحيح البخاري. من حديث أنس، أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه ثمّ صبر عوّضته منهما الجنّة، يريد عينيه.

وعند الترمذي في الحديث: إذا أخذت كريمتي عبدي في الدنيا لم يكن له جزاء عندي إلّا الجنّة. وفي الترمذى أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: يقول الله عزّ وجلّ من أذهبت حبيبتيه فصبر، وآحتسب لم أرض له ثواباً دونِ الجنّة.

وفي سنن أبي داود من حديث عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: لا يرضى الله لعبده المؤمن إذا ذهب بصفيه من أهل الأرض وآحتسبه بثواب دون الجنّة.

الباب السادس

أنواع الصبر في القرآن

البلاء للمسلم إختيار وآختبار وتذكير من الله وتكفير للذنوب، وأمّا الكافر فله عذاب من الله يسلّطه عليه في الدنيا قبل الآخرة.

ولقد وردت في الصبر نصوصٌ كثيرة نورد بعضها هنا للذكرى والموعظة.

قال الإمام أحمد رحمه الله: «ذكر الله سبحانه الصبر في القرآن في تسعين موضعاً» ونحن نذكر الأنواع التي سيق فيها الصبر:

أحدها: الأمر به كقوله: **﴿واصبر وما صبرك إلّا بالله﴾ ﴿وآصبر لحكم ربِّك﴾**.

الثاني: النهي عما يضاده كقوله: **﴿ولا تستعجل لهم﴾** وقوله: **﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا﴾** وقوله: **﴿ولا تكن كصاحب الحوت﴾**. وبالجملة فكلّ ما نهى عنه فإنَّه يضاد الصبر المأمور به.

الثالث: تعليق الفلاح به كقوله: **﴿يا أيُّها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا وآتّقوا الله لعلّكم تفلحون﴾**. فعلق الفلاح بمجموع هذه الأمور.

الرابع: الاخبار عن مضاعفة أجر الصابر على غيره كقوله: **﴿إنَّما يوفى**

الصابرون أجرهم بغير حساب﴾. قال سليمان بن القاسم: كل عمل يعرف ثوابه إلّا الصبر. قال الله تعالى: **﴿إنّما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾**. **قال: كالماء المنهمر**.

الخامس: تعليق الإمامة في الدين به وباليقين. قال الله تعالى: **﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾**. فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

السادس: ظفرهم بمعية الله سبحانه لهم. قال تعالى: **﴿إنَّ الله مع الصابرين﴾** قال أبو علي الدقاق: «فاز الصابرون بعزّ الدارين لأنَّهم نالوا من الله معيته».

السابع: انَّه جمع للصابرين ثلاثة أمور لم يجمعها لغيرهم. وهي: الصلاة منه عليهم. ورحمته لهم. وهدايته إيّاهم. قال تعالى: **﴿وبشّر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا انّا لله وانّا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾** وقال بعض السلف وقد عزّى على مصيبة نالته فقال: مالي لا أصبر وقد وعدني الله على الصبر ثلاث خصال. كلّ خصلة منها خير من الدنيا وما عليها.

الثامن: انه سبحانه جعل الصبر عوناً وعدة وأمر بالإستعانة به فقال: «واستعينوا بالصبر والصلاة». فمن لا صبر له لا عون له.

التاسع: انه سبحانه علق النصر بالصبر والتقوى، فقال تعالى: «بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين». ولهذا قال النبي ﷺ: «واعلم أن النصر مع الصبر» [1].

العاشر: انه سبحانه جعل الصبر والتقوى جنة عظيمة من كيد العدو ومكره، فما استجن العبد من ذلك جنة أعظم منهما. قال تعالى: «وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً».

---

(١) عدة الصابرين. ص ٨٤ ـ ٨٥.

الحادي عشر: انه سبحانه أخبر أن ملائكته تسلم عليهم في الجنة كما قال: «والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار».

الثاني عشر: انه سبحانه أباح لهم أن يعاقبوا على ما عوقبوا به ثم أقسم قسماً مؤكداً غاية التأكيد أن صبرهم خير لهم فقال: «وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين» فتأمل هذا التأكيد بالقسم المدلول عليه بالواو ثم باللام بعده ثم باللام التي في الجواب.

الثالث عشر: انه سبحانه رتب المغفرة والأجر الكبير على الصبر والعمل الصالح فقال: «إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير». وهؤلاء ثنية الله من نوع الإنسان المذموم الموصوف باليأس والكفر عند المصيبة والفرح والفخر عند النعمة، ولا خلاص من هذا الذم إلا بالصبر والعمل الصالح، كما لا تنال المغفرة والأجر الكبير إلا بهما.

الرابع عشر: انه سبحانه جعل الصبر على المصائب من عزم الأمور، «ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور». وقال لقمان لابنه «وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور».

الخامس عشر: انه سبحانه وعد المؤمنين بالنصر والظفر، وهي كلمته التي سبقت لهم وهي الكلمة الحسنى، وأخبر أنه إنما أنالهم ذلك بالصبر، فقال تعالى: «وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا».

السادس عشر: انه سبحانه علق محبته بالصبر وجعلها لأهله فقال: «وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين».

السابع عشر: انه سبحانه أخبر عن خصال الخير، أنه لا يلقاها إلا الصابرون، في موضعين من كتابه في سورة القصص، في قصة قارون. وإن الذين أوتوا العلم قالوا للذين تمنوا مثل ما أوتي «ويلكم ثواب الله خير لمن آمن

وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون». وفي سورة حميم السجدة، حيث أمر العبد أن يدفع بالتي هي أحسن، فإذا فعل ذلك صار الذي بينه وبينه عداوة كأنه حبيب قريب. ثم قال: «وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم».

الثامن عشر: انه سبحانه أخبر أنه إنما ينتفع بآياته ويتعظ بها الصبار الشكور، فقال تعالى: «ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله ان في ذلك الآيات لكل صبار شكور». وقال تعالى في لقمان: «ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور». وقال في قصة سبأ: «وجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور» وقال تعالى: «ومن آياته الجوار في البحر كالإعلام إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور». فهذه أربع مواضع في القرآن تدل على أن آيات الرب إنما ينتفع بها أهل الصبر والشكر[1].

التاسع عشر: انه أثنى على عبده أيوب بأحسن الثناء على صبره فقال: «إنا وجدناه صابراً نعم العبد انه أواب». فأطلق عليه نعم العبد بكونه وجده صابراً. وهذا يدل على أن من لم يصبر إذا ابتلى فإنه بئس العبد.

العشرون: انه سبحانه حكم بالخسران حكماً عاماً على كل من لم يؤمن ولم يكن من أهل الحق والصبر، وهذا يدل على أنه لا رابح سواهم، فقال تعالى: «والعصر. إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر». ولهذا قال الشافعي: لو فكر الناس كلهم في هذه الآية لو سعتهم. وذلك أن العبد كما له في تكميل قوتيه: قوة العلم وقوة العمل، وهما الإيمان والعمل الصالح. وكما هو محتاج إلى تكميل نفسه فهو محتاج إلى تكميل غيره. وهو التواصي بالحق والتواصي بالصبر، وأخية ذلك وقاعدته وساقه الذي يقوم عليه إنما هو الصبر.

---

(١) عدة الصابرين ـ ٨٦ ـ ٨٧.

الحادي والعشرون: انه سبحانه خص أهل الميمنة بأنهم أهل الصبر والمرحمة الذين قامت بهم هاتان الخصلتان ووصوا بهما غيرهم، فقال تعالى: «ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة، أولئك أصحاب الميمنة». وهذا حصر لأصحاب الميمنة فيمن قام به هذان الوصفان، والناس بالنسبة إليهما أربعة أقسام، هؤلاء خير الأقسام، وشرهم من لا صبر له ولا رحمة فيه، ويليه من له صبر ولا رحمة عنده ويليه القسم الرابع وهو من له رحمة ورقة ولكن لا صبر له.

الثاني والعشرون: انه سبحانه قرن الصبر بأركان الإسلام ومقامات الإيمان كلها، فقرنه بالصلاة كقوله: «واستعينوا بالصبر والصلاة». وقرنه بالأعمال الصالحة عموماً كقوله: «إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات». وجعله قرين التقوى كقوله: «انه من يتق ويصبر». وجعله قرين اليقين كقوله: «لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون». وجعله قرين الصدق كقوله: «والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات» وجعله سبب محبته ومعيته ونصره وعونه وحسن جزائه. ويكفي بعض ذلك شرفاً وفضلاً والله أعلم.

***

وبعد، فهذه الآلام التي يحسها الإنسان عند المرض، هي نعمة من الله لأنها تحذير وتنبيه وتذكرة لصاحبها لكي ينتبه لاختلال في جسمه ولكن عليه كذلك أن يحذر من اختلال عقيدته الذي قد يودي به لعذاب شديد في آخرته، وعليه أن يتنبه لأي خلل في نظرته للحياة أو لأي تغير في نفسيته نحو دينه، وليتذكر أن ديمومة عمره في خطر وعليه أن يتدارك ذلك كله فقد يكون الموت قريباً.

إن علينا أن نصبر ونوقن برحمة الله، ونحاول الثبات على ديننا، ونطمئن لمصيرنا ولنثق أن الأعمار بيد الله ولكل أجل كتاب (ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها) وعلينا كذلك أن نأخذ بعلاج الآلام التي توحي باضطراب الجسم وعدم انضباط تفاعلاته. وقبل كل شيء علاج اي اضطراب قد يحدث في علاقتنا مع الله.

(اللهم لا تبتلينا وإذا ابتليتنا فصبّرنا).

(ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تم بحمدالله في عام ١٤٠٧ هـ.
الموافق ١٩٨٧م

د. زهير محمد الزميلي/ عمان

ص.ب ٦٣٥

الاردن

المراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ إحياء علوم الدين /للإمام الغزالي /دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه

٣ ـ صيد الخاطر/للشيخ ابن الجوزي/تحقيق عبد القادر أحمد عطا /مكتبة الكليات الأزهري.

٤ ـ الدين الخالص /للسيد محمد صديق خان /طباعة المدني /المؤسسة السعودية بمصر.

٥ ـ طريق الدعوة في ظلال القرآن /سيد قطب /جمع وإعداد أحمد فائز /دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ الطبعة الأولى.

٦ ـ تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول /عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الديبع الشيباني مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع.

٧ ـ رياض الصالحين /للإمام النووي.

٨ ـ زاد المعاد في هدى خير العباد /للإمام ابن قيم الجوزية /طباعة مصطفى البابي الحلبي.

٩ ـ عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ـ منشورات دار الأفاق ـ بيروت. للمؤلف الإمام ابن قيم الجوزية.

١٠ ـ الأعجاز الطبي في القرآن د. السيد الجميلي طباعة دار التراث العربي /الطبعة الثانية.

١١ ـ مختار الصحاح لـلإمام محمـد بن أبي بكر الـرازي /طبعة بـيروت ـ المكتبة الأموية ـ دار الفكر.

١٢ ـ حسن الاسـوه بما ثبت من الله ورسـوله في النسـوه /السيد محمـد صـديق حسن خان تحقيق د. مصطفى الخن، محي الـدين مستو /طبـاعة مؤسسـة الرسالة الطبعة الأولى.

١٣ ـ المعجم المفهـرس لألفاظ القـرآن الكـريم /محمـد فؤاد عبـد البـاقي /دار الكتب المصرية دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

الفهرس

٢١٦,٨٣٦

زهير محمد عبد السلام الزميلي

لماذا خلق الله الامراض/ زهـير محمد عبـد السلام الزميلي.
- عمان: دار الفرقان للنشر، ١٩٨٧.

١١٠ ص
ر.أ (١٩٨٧/٤/١٣٩)

١ - الاسلام - فقه   أ - العنوان

(تمت الفهرسة بمعرفة مديرية المكتبات والوثائق الوطنية)



الصناعات المطبعية والمكتبية

PRINTERS & STATIONERS INDUSTRIES

P.O.Box : 6325 – Sharjah, U.A.E. Tel.: 06-5322744 Fax : 06-5323889
E-Mail : psishj@emirates.net.ae